



# تمكين المرأة

الفرص والتحديات

ح حسن موسى الصفار، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصفار، حسن بن موسى بن رضي

تمكين المرأة: الفرص والتحديات / حسن بن موسى بن رضي

الصفار - ط ١ - القطيف، ١٤٤٢ هـ

١٤٨ ص؛ ٢١ × ٨, ١٤ سم

ردمك: ٩ - ٧٣١٠ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- المرأة في المجتمع ٢- المرأة العاملة أ.العنوان

ديوي ٤١٢, ٣٠١ ١٤٤٢/١١١٣٧

رقم الإيداع: ١٤٤٢/١١١٣٧

ردمك: ٩ - ٧٣١٠ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

القطيف - المملكة العربية السعودية



أطيف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +

القطيف - شارع القدس

ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١

المملكة العربية السعودية

E-mail: Atyaf.qatif@gmail.com



# تمكين المرأة الفرص والتحديات

حسن موسى الصفار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## المحتويات

المحتويات .....	٧
مقدمة .....	٩
الفصل الأول: الجدارة والاستحقاق .....	١٣
تمكين المرأة .....	١٥
تكافؤ الفرص بين المرأة والرجل .....	٣١
المؤهلات الذاتية للمرأة وعوائق التقدم .....	٤٣
المرأة واستحقاقات المشاركة .....	٥١
لماذا تُضطهد المرأة في المجتمعات الإسلامية؟ .....	٦١
الفصل الثاني: الدور العائلي والمسؤولية الاجتماعية .....	٨١
بين المسؤولية العائلية والدور الاجتماعي .....	٨٣
أخطار التفكك الأسري .....	٩١
انعكاس دخل المرأة على الأسرة والمجتمع .....	٩٧
الفصل الثالث: التحدي الأخلاقي والأمن الاجتماعي .....	١٠٣
الانضباط في العلاقة بين الجنسين .....	١٠٥



- الرهان على وعي المرأة وقوة شخصيتها ..... ١١٣
- الغيرة حصانة أخلاقية..... ١٢١
- البيئة الثقافية للعنف ضد المرأة..... ١٢٩
- الالتزام الديني والأجواء المفتوحة..... ١٤١







## مقدمة

حققت البشرية في العصر الحديث إنجازات إنسانية عظيمة، فقد تجاوزت ظاهرة الرق والاستعباد، التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، من بدايات التاريخ البشري، حيث كان يتم أسر قسم من أبناء البشر عبر الحروب والغارات، واتخاذهم عبيدًا أرقاء، يُباعون ويُشترون، ويعيشون مسلوبي الإرادة والحرية والحقوق.

كما تجاوزت البشرية ظاهرة الاستعمار، والتي عانت منها أكثر شعوب العالم، حيث كانت الحكومات القوية لبعض البلدان، تبسط قوتها العسكرية على البلدان والشعوب الأخرى، لتصبح خاضعة لسلطانها، تتحكم في شؤونها، وتسيطر على مقدراتها.

ومن الإنجازات الإنسانية العظيمة في هذا العصر، إقرار موثيق حقوق الإنسان، رغم أنها لا تزال تتعرض للانتهاكات والتجاوزات في معظم دول العالم، لكنها أصبحت شرعة عالمية، ووعياً إنسانياً عاماً، ومرجعية يحتكم إليها.



وفي هذا السياق يأتي عنوان تمكين المرأة كمعلم بارز في مسيرة الإنجازات الإنسانية في العصر الحديث.

فقد عاشت المرأة منذ فجر التاريخ عصوراً يُتَنَكَّرُ فيها لإنسانيتها، حيث كانت حقيقتها الإنسانية موضع بحث ونقاش، وفي أحسن الفروض كانت تعتبر إنساناً من الدرجة الثانية، قياساً إلى الرجل، فهي دونه قيمةً ورتبةً، ويجب أن تكون تحت سلطته وهيمنته، مسلوبة الحرية والإرادة، تعيش على هامش الحياة التي يتفرد بإدارتها الرجال، بينما تبقى المرأة معطلة القدرات والإمكانات.

لكن هذا الواقع المهين قد تغيّر إلى حد كبير في العصر الحديث، وأُتِيحت للمرأة فرص التعليم والعمل، والمشاركة في مختلف ميادين الحياة، وأثبتت المرأة جدارتها وكفاءتها التي لا تقل عن الرجل، في القيام بشتى الأعباء والمسؤوليات، كرئاسة الدولة، وإدارة وزارة الدفاع، ومنصب القضاء، وذلك ما حصل في عدد من الدول والمجتمعات.

لكن هذا التطور لا يسير بوتيرة واحدة في المجتمعات، بل تتفاوت سرعته بين مجتمع وآخر، وفي بعضها تكون مسيرته بطيئة متعثرة. حيث لا تزال مخلفات عصور التمييز والتهميش ضد المرأة واقعاً قائماً، تحميه بعض الثقافات الموروثة والأعراف الاجتماعية، ولا تزال هناك ممانعة في بعض المجتمعات لسياسات تمكين المرأة.

من ناحية أخرى فإن هذا التطور الإيجابي في واقع المرأة، أثار بعض التحديات والآثار السلبية، في البعد الاجتماعي والأخلاقي، وذلك ما

يوجب المعالجة والاستيعاب لتلك التحديات، وتلافي تلك السلبيات. وفي ثقافتنا الدينية الأصيلة معالم رؤية إنسانية منصفة للمرأة، تدعو إلى مشاركتها وتمكينها، وتعزز القيم الأخلاقية التي تحمي المجتمع من منزلقات العواطف والأهواء، وتُوجّهه إلى التوازن في الاستجابة لمتطلبات التنمية الاجتماعية، حتى لا يكون التقدم في جانب على حساب جوانب أخرى. فالتنمية الأخلاقية القيمة يجب أن تواكب التنمية الاقتصادية الاجتماعية. وبناء الإنسان هو الأساس في بناء الأوطان والمجتمعات، وحماية كيان الأسرة جزء لا يتجزأ من حماية كيان المجتمع والوطن. وتلك مسؤوليات مشتركة بين الرجل والمرأة. والكتاب المائل بين يدي القارئ الكريم يقدم أفكاراً تواكب حركة تمكين المرأة في المجتمع، ويناقش التحديات والسلبيات التي قد تنتج عنها، وفي الكتاب نقد لواقع التهميش والتمييز ضد المرأة على الصعيد الاجتماعي، ودعوة لإنصافها واحترام حقوقها، على ضوء ما ورد في النصوص الدينية الأصيلة.

أرجو أن يكون نشره إسهاماً في تقدم مسيرة التنمية الاجتماعية، وحركة تمكين المرأة في ظل القيم والأخلاق الفاضلة. والله تعالى هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

حسن الصفار

٢٠ رمضان ١٤٤٢هـ

٢ مايو ٢٠٢١م







الفصل الأول

**الجدارة والاستحقاق**





## تمكين المرأة

### مفهوم التمكين

تمكين الإنسان في هذه الحياة قرار إلهي، فقد خلقه الله ليكون خليفته في الأرض، وزوده بقدرات عقلية ونفسية وبدنية، ومنحه الإرادة والاختيار، وسخر له ما في الكون من وجودات وثروات.

يقول تعالى عن هذا التمكين: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٠].

(والتَّمَكِينُ جَعْلُ الشَّيْءِ فِي مَكَانٍ، وهو يُطْلَقُ عَلَى الإِقْدَارِ عَلَى التَّصَرُّفِ، عَلَى سَبِيلِ الكِنَايَةِ... أَيُ أَقْدَرْنَاكُمْ عَلَى أُمُورِ الْأَرْضِ وَخَوَّلْنَاكُمْ التَّصَرُّفَ فِي مَخْلُوقَاتِهَا، وَذَلِكَ بِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي الْبَشَرِ مِنْ قُوَّةِ الْعَقْلِ وَالتَّفَكِيرِ الَّتِي أَهْلَتْهُ لِسَيَادَةِ هَذَا الْعَالَمِ وَالتَّغَلُّبِ عَلَى مَصَاعِبِهِ)<sup>(١)</sup>.

(١) محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير، ج٨، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، (بيروت: مؤسسة التاريخ)، ص٢٦.

(والتمكنين: إعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع، لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة، فقد يحتاج إلى آلة وإلى دلالة وإلى سبب، ويحتاج إلى ارتفاع المنع، فالتمكنين عبارة عن جميع ذلك)<sup>(١)</sup>.

وقد تكرر مصطلح التمكين بهذا المعنى في عدد من آيات القرآن الكريم.

والخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٠] موجه لجميع بني البشر ذكوراً وإناثاً، ولا يختص بالذكور دون الإناث، فتمكين المرأة في الأرض كتمكين الرجل، قرار إلهي يحمله الخطاب القرآني.

### تهميش المرأة

لكن الواقع في حياة المجتمعات البشرية على امتداد العصور، كان قائماً على التمييز بين الرجل والمرأة في فرص التمكين وحرية الحركة والتصرف، حيث تُحرم المرأة من كثير من الفرص التي تتاح للرجل في الحياة الخاصة والعامة.

فبعض القوانين والتشريعات تسلب المرأة حق التصرف حتى في جسمها أو مالها، فلا يصحح لها بالسفر إلا بصحبة رجل من محارمها،

(١) محمد حسين فضل الله. تفسير من وحي القرآن، ج٧، الطبعة الثالثة ٢٠١٨م، (بيروت: دار الملاك)، ص٢٩.



ولو احتاجت إلى عملية جراحية لا بدّ من موافقة ولي أمرها الرجل، ولا يحق لها اتخاذ قرار الزواج إلا بموافقة وليها الرجل، حيث (لا نكاح إلا بوليّ)، وقد يكون قرار زواجها بيد ابنها، أو ابن أخيها، أو ابن عمها، وإن كان دون العشرين من عمره، وهي في الستين من عمرها، وفقاً لبعض المذاهب الفقهية.

أما إدارة الحياة، والتصدي لشؤون المجتمع، فذلك ما لا يعني المرأة، ولا يحق لها التدخل في شيء من أمور الولاية العامة.

لقد كانت ظروف الحياة في العصور الماضية تستلزم خشونة الجسم، وقوة العضلات، لتحصيل موارد المعيشة، ولخوض معارك القتال المباشر، طلباً للغنائم، أو دفاعاً عن القبيلة، وهذا إنما يقوم به الرجل، إذ لا قدرة للمرأة على خوض المعارك والحروب، لنعومة جسمها، وضعف قوتها البدنية، فهي في حاجة إلى حماية الرجل، وعلى هذا الأساس قامت معادلة هيمنة الرجل واستثثاره بفرص الحرية والحركة، وانحصر دور المرأة في وظائفها الزوجية والمنزلية، تحت رعاية الرجل وفي ظل سلطته.

### ثقافة التمييز ضد المرأة

ولتبرير هذه الهيمنة الذكورية وتعزيزها، أنتج الرجل ثقافة وتنظيراً مفاده: أن طبيعة الرجل الوجودية أعلى مرتبة من طبيعة المرأة، وأن قيمته الإنسانية متميزة عليها، فهو في رتبة متقدمة، وإنسان من الدرجة

الأولى، بينما تأتي المرأة في درجة متأخرة عن الرجل الذي له أهلية التصرف في أشياء الكون، ومنها المرأة التي خلقت لأجله.

هذا ما كان يقول الفلاسفة القدماء كأرسطو (٣٨٤ق.م-٣٢٢ق.م) الذي يقول: (جنس الذكر أصلح للرئاسة من جنس الأنثى، ومن ثم فتسلط الرجال على النساء مسألة طبيعية جداً)<sup>(١)</sup>.

ويقول: (ليس من المناسب أن تتحلى المرأة بفضائل الرجل)<sup>(٢)</sup>.  
و(ما يصدر عن الرجال أنبل مما يصدر عن النساء)<sup>(٣)</sup>.

إن أرسطو يستبعد المرأة تمامًا من ميدان الثقافة والسياسة والحياة الفكرية بصفة عامة، ليجعل وظيفتها مقتصرة على الإنجاب<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يعتقد أرسطو أن النساء خاضعات للرجال بفعل الطبيعة التي تتجه عن عمد لتحقيق تلك الغاية، أي أن نقص سلطان الجانب العقلي في النساء، لا بد أن تكون الطبيعة قد اتجهت إليه وقصدته. وباختصار فإن النساء بالطبيعة (غير طبيعيات)<sup>(٥)</sup>.

ومع وضوح نصوص الخطاب الديني في القرآن الكريم بالتأكيد

(١) أرسطو، السياسة، فقرة ١٢٥٩.

(٢) أرسطو، فن الشعر، فقرة ١٤٥٤.

(٣) أرسطو، الخطابة، فقرة ١٣٦٧.

(٤) إمام عبدالفتاح إمام. أرسطو والمرأة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، (القاهرة: مكتبة مدبولي)، ص ٧١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩١.

على الطبيعة المشتركة للرجل والمرأة كقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [سورة النساء، الآية: ١]، وأن التمايز بين بني البشر ذكوراً وإناثاً، ومن مختلف أعراقهم، تمايز كسبي ناتج عن عملهم وسلوكهم، لا من اختلاف في طبيعتهم حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣] مع هذا الوضوح والتأكيد الذي جاء في آيات كثيرة من القرآن الكريم، إلا أن ثقافة التمييز ضد المرأة اخذت صبغة دينية أيضاً، فاصطنعت أحاديث ومقولات من وحي الهيمنة الذكورية، تبرر تهميش المرأة في الحياة والمجتمع، وتقرّر دونيتها في الرتبة والقيمة الإنسانية. وقدمت تفسيرات تأويلية للنصوص المدافعة عن حقوق المرأة.

ونكتفي بنموذج واحد من كلام أحد أبرز العلماء ومفسي القرآن الكريم وهو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي (١١٤٩ - ١٢١٠هـ) حيث يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قال: «قوله ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾ دليل على أن النساء خلقن كخلق الدواب والنبات وغير ذلك من المنافع. كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٩] وهذا يقتضي أن لا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف. فنقول: خلق النساء من النعم علينا، وخلقهن لنا، وتكليفهن لإتمام النعمة علينا،

لا لتوجيه التكليف نحوهم مثل توجيهه إلينا، وذلك من حيث النقل والحكم... ولولا ذلك لظهر الفساد».

إن هذه الثقافة النظرية والتبريرية للتمييز ضد المرأة، انعكست على الآراء الفقهية التي كانت سائدة في معظم المجتمعات الإسلامية، فعارض كثير من الفقهاء تعليم المرأة، ودخولها ميدان العمل الوظيفي والاقتصادي، ومشاركتها في المجال السياسي وإدارة الشأن العام.

### تطور الحياة ومشاركة المرأة

لكن تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أعقاب الثورة الصناعية في أوروبا، وانبثاق حركة حقوق الإنسان على المستوى العالمي، دفع باتجاه تغيير واقع المرأة، ومشاركتها في الإنتاج والتصنيع، وصولاً لاقتحامها عالم السياسة والقيادة الاجتماعية.

واقضى هذا التطور والتغيير صراعاً مع الثقافة التقليدية التمييزية ضد المرأة، فنشأت حركات نسوية تبشّر بالمساواة بين الجنسين اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

وتحقق إنجاز كبير على هذا الصعيد في المجتمعات الغربية، والمجتمعات التي تدور في فلكها.

أما المجتمعات الإسلامية فقد كانت مسيرة التطور والتغيير فيها أبطأً وأعسر، وذلك لشدة تمسك هذه المجتمعات بموروثها الثقافي،

ولتأخر حركة التطور الاقتصادي والاجتماعي في بلدانها، ولأن ثقافة التبشير بحقوق المرأة بنموذجه الغربي، كان مثيراً للتحفظات والإشكالات، لجهة ما أفرزه في تلك المجتمعات من تحلل وابتدال أخلاقي، ومن إضعاف لكيان الأسرة.

لكن هذه الممانعة لتغيير واقع المرأة في المجتمعات الإسلامية بدأت في التراجع والانحسار، بدرجات متفاوتة بين مجتمع وآخر، ولم تستطع مواجهة زحف التغيير والتطوير، وخاصة في عصر العولمة الثقافية والسياسية والاقتصادية، فقد أصبح احترام حقوق المرأة شرطاً للاندماج في المجتمع العالمي، ودعت العديد من المواثيق الدولية إلى إنهاء التمييز ضد المرأة بكافة أشكاله، ومنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية، كما أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٩ م اتفاقية خاصة بإنهاء التمييز ضد المرأة.

ومن حسن الحظ أن عدداً من فقهاء الإسلام ومفكريه المعاصرين قد استجابوا للتحدي الثقافي والاجتماعي، وقاموا بمراجعة دينية لواقع المرأة في المجتمعات الإسلامية، رأوا فيها أن هذا الواقع المتخلف ينطلق في مجمله من الأعراف والتقاليد، ومن فهم ديني متأثر بها، وليس من النصوص الدينية الأصيلة، ولا من تعاليم الإسلام الثابتة.

وقدموا قراءة جديدة لرؤية الإسلام حول مكانة المرأة ودورها

في المجتمع، وأنها شقيقة الرجل وشريكته في إدارة الحياة والتمتع بخيراتها، ورفضوا التمييز ضد المرأة، مع أخذ خصوصيات بعض الأحكام الشرعية بعين الاعتبار، والتأكيد على حماية أجواء العفة والاحتشام في العلاقات بين الجنسين، تلافياً لسلبات الانفلات الأخلاقي وخطره على أمن المجتمع.

فقد أصدر الشيخ محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup> كتابه (حقوق النساء في الإسلام) سنة ١٩٣٠ الذي أكد فيه على مشاركة المرأة في الوظائف العامة الاجتماعية والسياسية.

وقام الأستاذ عبدالحليم أبو شقة<sup>(٢)</sup> بجمع عدد كبير من النصوص الدينية التي تؤكد على دور المرأة ومشاركتها عملياً في الحياة العامة في العهد النبوي، بعنوان (تحرير المرأة في عصر الرسالة) صدر عام ١٩٩٠م في ستة أجزاء. وقدّم له مقدمة ضافية الشيخ محمد الغزالي مؤيداً لفكرة الكتاب وناقداً تهميش المرأة، وداعياً لتمكينها في مختلف ميادين الحياة.

وللشيخ محمد الغزالي نفسه كتاب في ذات السياق بعنوان (قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة).

وتناول الشيخ محمد مهدي شمس الدين (مسائل حرجة في فقه

(١) أحد رجال الإصلاح الإسلامي، أصدر مجلة المنار المعروفة في مصر، (١٨٦٥ - ١٩٣٥م).

(٢) كاتب ومفكر إسلامي من مصر، (١٩٢٤ - ١٩٩٥م).

المرأة) ضمن كتاب طبع في أربعة أجزاء، كان أحدها مخصصاً لبحث (أهلية المرأة لتولي السلطة).

والموقف الأكثر جرأة على الصعيد الفقهي الإسلامي تميّزه الشيخ يوسف الصانعي<sup>(١)</sup> حيث أصدر سلسلة أبحاث علمية، تقرر المساواة بين الرجل والمرأة في عدد من الموارد في الفقه الإسلامي، خلافاً لما هو سائد بين الفقهاء. منها: المساواة في الدية، وفي القصاص، وفي ولاية الأم على الأبناء الصغار مقدمة على الجدّ للأب، وفي الشهادات، وفي تقلّد المناصب الدينية والسياسية العليا.

### عصر تمكين المرأة

لقد ظهر مصطلح تمكين المرأة في منتصف ثمانينيات القرن العشرين، في عدد من الوثائق والاتفاقيات الدولية التي تُعنى بقضايا المرأة، وكثر تداوله في أدبيات المنظمات الحقوقية، والمؤتمرات والكتابات الثقافية والاجتماعية.

ورغم تعدد الشروح لهذا المصطلح، إلا أن المقصود منه إتاحة الفرصة للمرأة لكي تحدد خياراتها بنفسها، فيما يرتبط بشؤون حياتها الخاصة، وأن تشارك في الحياة العامة إلى جانب الرجل، في ميادين المعرفة والتنمية الاقتصادية، والعمل السياسي، والنشاط الاجتماعي. ويعني ذلك تأهيلها لهذه المشاركة بتوفير فرص التعليم والتدريب،

(١) مرجع وعالم ديني في قم، (١٩٣٧ - ٢٠٢٠م).

وإزالة العوائق القانونية والموانع الاجتماعية التي تحدّ من مشاركتها في مختلف المجالات، بحيث تتكافأ الفرص بينها وبين الرجل في الأعمال والوظائف، وإمكانية الوصول إلى المواقع والمناصب القيادية.

### مكاسب تمكين المرأة

إن تمكين المرأة - بهذا المعنى - يحقق لها وللمجتمع مكاسب وفرصاً كبيرة نشير إلى أهمها:

أولاً: إنه يمثل استجابة لاستحقاق طبيعي وقرار إلهي، كما ورد في آيات القرآن الكريم، التي تتحدث عن خلافة الإنسان والتمكين له في الأرض، وخلق موجودات الكون وتسخيرها من أجله، وتكريم بني آدم، وكلها لا تخص الذكور دون الإناث.

وفي الفقه الإسلامي قاعدة عامة تقرر أن الأصل سلطة الإنسان على نفسه وماله إلا ما خرج بالدليل. وهي تشمل الرجال والنساء.

ثانياً: إن ذلك يمنح المرأة الشعور بقيمتها وذاتها وكرامتها، بينما يسلبها واقع التهميش الثقة بالذات، والشعور بالقيمة والكرامة.

ثالثاً: تمكين المرأة ومشاركتها في الحياة العامة يصقل شخصيتها،



ويرفع مستوى وعيها، ويعزز الشعور بالمسؤولية الوطنية والاجتماعية في نفسها، وذلك ينعكس على سلوكها وأدائها، وإدارتها للحياة العائلية، وتربيتها لأبنائها، كما يرتقي بالوعي الاجتماعي العام، فالمرأة نصف المجتمع، وذات تأثير على النصف الآخر.

رابعاً: يسهم تمكين المرأة في دفع مسيرة التنمية الاجتماعية والوطنية، فالمرأة كالرجل تختزن طاقات وكفاءات هائلة، لكنها تبقى معطلة كامنة، حين تعيش واقع التمييز والتهميش، بينما تتفجر طاقاتها وكفاءاتها حين تمكّن من ممارسة دورها في الحياة العامة، وتزال من طريقها العقبات والعوائق التي تفرضها سياسة التمييز ضد المرأة.

إن تهमيش المرأة يعني تجميد وتعطيل نصف طاقة المجتمع وقدرات أبنائه.

### تحديات

إذا كان تمكين المرأة يقدم لها وللمجتمع هذه الفرص المهمة، ويتيح هذه المكاسب العظيمة، فإنه في ذات الوقت يضع المرأة والمجتمع أمام تحديات، لا بدّ من مواجهتها ومعالجتها، لتلافي السلبيات وسدّ الثغرات، ومن أهم تلك التحديات، تحديان رئيسان:

## ١. إضعاف دور الأمومة والتماسك العائلي

في المجتمع التقليدي تتفرغ المرأة لشؤون منزلها وحياتها العائلية، وتصرف كل جهدها لإسعاد زوجها وتربية أبنائها، من تحمّل مشقة الإنجاب، إلى القيام بأعباء الرضاعة والحضانة، والاهتمام بتربيتهم وتعليمهم، ورعايتهم حتى يتجاوزوا مرحلة الطفولة والمراهقة، ويشقون طريقهم في هذه الحياة. فهي نبع العطف والحنان لأفراد أسرتها، وهي عماد المنزل وربة البيت.

وحين تخرج المرأة للمشاركة في ميادين العمل والحياة العامة، كما في المجتمعات الحديثة، فإن ذلك يكون على حساب دورها المميز في الحياة العائلية الأسرية، فالتزامها الوظيفي، ومشاركتها في الحياة العامة، يأخذ جزءاً مهماً من وقتها وطاقتها، بما يؤثر على اهتمامها وعطائها في حياتها الزوجية، وممارستها لدور الأمومة والتربية.

وذلك يضعف تماسك العائلة، وقوة العلاقة والارتباط بين الزوجين، وتوفير الرعاية للأبناء، وخاصة في سنوات طفولتهم التأسيسية المهمة لبناء شخصياتهم.

إن سلّم الأولويات يتغير في حياة المرأة العاملة، فمن الطبيعي أن يتأخر وقت زواجها حتى تنهي دراستها، وتستكمل تدريبها وتأهيلها، وحتى تنال فرصتها الوظيفية المناسبة. وقد تعزف عن الزواج حين يؤثر على تقدمها في فرص العمل والتوظيف، وقد تحرص على امتيازاتها

الوظيفية والعملية أكثر من حرصها على متانة علاقتها الزوجية، وقد تزهّد في الانجاب حتى لا تشغل بأعباء الحمل والولادة والتربية التي تحدّ من حرية حركتها ونشاطها الشخصي والعام.

وتتحدث كثير من التقارير عن تراجع الخصوبة ونسبة الولادات عبر العالم، فقد جاء في تقرير نشرته (بي بي سي) بتاريخ ١٥ يوليو ٢٠٢٠م (أن كل دولة تقريباً ستسجل تقلصاً في عدد سكانها بحلول نهاية القرن. ويتوقع أن تشهد ٢٣ دولة، من بينها إسبانيا واليابان، تناقص عدد سكانها إلى النصف بحلول عام ٢١٠٠م.

وتؤدي الظاهرة أيضاً إلى تزايد معدل الشيخوخة، إذ يتوقع أن يتساوى عدد البالغين من العمر ٨٠ عاماً مع عدد المواليد الجدد.

في خمسينيات القرن الماضي كانت المرأة تنجب ما معدله ٧, ٤ أطفال. لكن معدل الخصوبة في العالم تناقص إلى النصف تقريباً، إذ سجل ٤, ٢ في عام ٢٠١٧م.

وتتوقع الدراسة المنشورة في مجلة لانست الصحية أن هذا المعدل سينخفض إلى أدنى من ٧, ١ بحلول ٢١٠٠م.

الأمر لا يتعلق بالقدرة الجنسية، إنما يتعلق بميل المزيد من النساء إلى الحصول على التعليم والعمل، بالإضافة إلى توفير موانع الحمل بشكل واسع، وهو ما جعل النساء يخترن إنجاب عدد أقل من الأولاد<sup>(١)</sup>.

(١) <https://www.bbc.com/arabic/world-53417978>

إنه تحدٍ حقيقي أمام المجتمعات البشرية، فالإنسان هو أساس التنمية، وسعادة الإنسان وصلاحه هو الهدف المنشود من السياسات التنموية، ولا شك أن الأسرة هي القاعدة والمنطلق في بناء المجتمع فحين تكون الأسرة قوية متماسكة، يغمر قلوب أفرادها الحنان والرضا ومشاعر الأمن والاستقرار، فإن الحال العام في المجتمع سيكون أقرب للسعادة والإصلاح، والإنتاجية والتقدم.

وللمرأة دور رئيس في حياة الأسرة، فكيف نواجه تحدي الفراغ الذي ينشأ من انشغالها بالمهام الأخرى خارج الأسرة؟

إن ما يدعو إليه التقليديون من التراجع عن سياسة تمكين المرأة ومشاركتها في الحياة العامة، ليس خياراً وارداً ولا ممكناً في هذا العصر.

إن أي تطور في حياة المجتمعات البشرية، قد تصحب مكاسبه ومنافعه بعض السلبيات والخسائر والأضرار، والحل لا يكون في رفض التطور، وإنما بالتفكير في استيعاب خسائره وأضراره، وتنمية مكاسبه ومنافعه.

إن التفكير يجب أن يتجه إلى تحفيز المرأة للاحتفاظ بالمساحة الأوسع في دورها العائلي، مع مشاركتها في ميادين الحياة العامة، وأن تأخذ التشريعات والقوانين المرتبطة بعمل المرأة مهامها العائلية بعين الاعتبار، وأن تنشأ مؤسسات مساندة لدور الأمومة، كدور الحضانه ورياض الطفولة، كما يجب أن يشارك الرجل المرأة في تحمّل

المسؤوليات العائلية المنزلية، ولا يلقي بأعبائها على المرأة كما هو المتعارف في المجتمعات التقليدية.

إنه لا بدّ من تحديث ثقافة النظام الأسري ليتلاءم مع تطور الحياة الاجتماعية وسياسة تمكين المرأة.

## ٢. التحدي الأخلاقي

حيث تولي المجتمعات الدينية والمحافظة أهمية بالغة لأخلاق العفة والانضباط العاطفي في العلاقة بين الجنسين، خارج إطار الزوجية. وتترتب على ذلك أحكام وتشريعات دينية، وأعراف وتقاليد اجتماعية.

وقد أثار النموذج الغربي في الانفتاح بلا حدود بين الجنسين الكثير من القلق والحذر في أوساط المجتمعات الدينية والمحافظة.

وهناك ترويج لثقافة هذا النموذج، بما فيه من ابتذال عاطفي، وتحلل أخلاقي، على حساب خصوصيات ثقافات المجتمعات الأخرى، كمجتمعاتنا الإسلامية التي تهتم بأخلاق العفة والاحتشام، والانضباط في العلاقات العاطفية.

لقد ارتسمت معادلة خطأ في أذهان كثيرين من أبناء مجتمعاتنا، ترى حتمية التلازم بين مشاركة المرأة وتمكينها، وبين فقدان أخلاق العفة والاحتشام، وأن عزل المرأة وتهميشها هو طريق صيانة الأخلاق.

صحيح أن مشاركة المرأة وتمكينها يستلزم الاختلاط بين الرجال

والنساء، في مواقع العمل المختلفة ومجالات الحياة، ويقتضي الانفتاح في التواصل والتعامل بين الجنسين، وهو ما يؤدي إلى مستوى من التفاعل العاطفي بحكم الطبيعة الغرائزية.

لكن الله تعالى أراد امتحان إرادة الإنسان وقدرته على التحكم في عواطفه وميوله، من خلال وجود هذا الانجذاب العاطفي، واقتضاء طبيعة الحياة المشاركة بين الجنسين.

إن الدين لم يحظر الاختلاط بين الجنسين، ولم يفرض الانفصال والعزل بين الرجال والنساء، بل أجاز الاختلاط وسمح به حتى في العبادات الدينية، كما هو الحال في مناسك الحج حيث يزدحم الحجاج رجالاً ونساءً في أداء الطواف والسعي ورمي الجمار.

ولقد شرع الدين أحكاماً لضبط العلاقة بين الجنسين، وكثف توجيهاته لصنع أجواء العفة والاحتشام، وتعزيز الاستقامة في النفوس. فالرهان يجب أن يكون منصباً على تحفيز الإرادة في نفوس الرجال والنساء لمواجهة انحراف الميول العاطفية، وعلى نشر روح الالتزام بالأحكام الشرعية، والضوابط الأخلاقية، وبث الوعي بمخاطر تجاوز حدود العفة على أمن المجتمع الأخلاقي واستقراره الاجتماعي.

ولمواجهة حالات التجاوز والانفلات لا بد من وجود قوانين رادعة، وإجراءات صارمة، ضد من يقوم بالتحرش الجنسي ويتعدى على الحرمات.



## تكافؤ الفرص بين المرأة والرجل

ظلت النظرة الدونية للمرأة سائدة على مدى عهود طويلة، إلى أن جاء الإسلام ليحارب هذا السلوك العنصري تجاهها. فقد ظهر الإسلام في ذروة التمييز وتفشي النظرة الدونية للمرأة، وهيمنة الثقافة القائمة على تفضيل الرجل عليها، واعتبارها في مرتبة أدنى من الرجل من حيث القيمة والاعتبار. وقد تركزت هذه النظرة انطلاقاً من هيمنة الرجل واستمرار خضوع المرأة له؛ نظراً لحاجتها لحمايته ورعايته. فجاء الإسلام لينسف هذه الثقافة البالية، ويزرع مكانها ثقافة المساواة والتكافؤ بين الجنسين لجهة القيمة والاعتبار.

إنّ تمايز دور المرأة عن دور الرجل في الحياة العائلية ينبغي ألا يترتب عليه تمايز في القيمة والاعتبار. صحيح أنّ هناك اختلافاً تكوينياً وبيولوجياً بين جسم الذكر وجسم الأنثى، ما يعني وجود تمايز في الوظيفة والدور لكل منهما، حيث يُحدّد التكوين الجسدي للمرأة دورها الحيوي في التناسل البشري، من خلال الحمل والرضاعة،

ورعاية الطفل، خاصة في المراحل الأولى من حياته، غير أن جميع ذلك ينبغي ألا يترتب عليه تمايز في القيمة والاعتبار، على نحو يجعل من قيمة الرجل، بما هو رجل، أعلى مرتبة من قيمة المرأة، بما هي امرأة، ليكون حينئذ كل رجل هو أفضل من كل امرأة.

جاء الإسلام ليقرر على نحو حاسم، بأن ليس هناك تفاضل بين الرجل والمرأة لجهة القيمة الإنسانية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وسعيًا نحو تركيز حقيقة المساواة والتكافؤ بين الجنسين أورد القرآن الكريم العديد من الآيات التي خاطبت الذكر والأنثى على قدم المساواة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وورد في آية ثالثة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وعلى هذا النحو تكررت مخاطبة الذكر والأنثى على السواء في العديد من الآيات القرآنية، كل ذلك في سبيل تعزيز المساواة بين الذكر والأنثى في مجتمع ظلّ طويلًا معتقدًا بتميز الرجل على المرأة، ويؤكد القرآن الكريم أهلية المرأة للاتصاف بكل صفات الفضل والتفوق في ندية كاملة للرجل، وحينئذ لا يختلف مقامها عن مقامه



عند الله تعالى . يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

### معايير التفاضل

إنَّ القرآن يشير إلى أن الرجل والمرأة كفرسيَّ رهان في السباق نحو مكارم الأخلاق. فالأنوثة لا تعني الدونية بأيِّ حالٍ من الأحوال، كما لا تعني الرجولة التميز والتفوق، وإنما تتحدّد معايير التميّز والتفوق في أمور ثلاثة:

١. التحلّي بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وبذلك لا يكون الرجل غير التقيِّ أفضل من المرأة التقية، لمجرد كونه رجلاً.

٢. العلم، وهو معيار التمييز بين الناس رجالاً ونساءً، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقل الناس قيمة أقلهم

علماً<sup>(١)</sup>، فإذا توفرت امرأة على العلم في أيِّ مجالٍ من المجالات، وإلى جانبها رجل لا يمتلك علماً، فهل يستقيم القول بأنّ ذلك الرجل الجاهل، أفضل من تلك المرأة العالمة؟ كلا.

٣. العمل الصالح، فمتى كان للمرأة رصيد وافر من العمل الصالح، قياساً إلى رجل لا يملك مثل ذلك الرصيد، فليس من المعقول أن يكون أفضل منها لمجرد كونه رجلاً، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وبذلك يكون المعوّل في التفاضل بين الرجل والمرأة قائماً على هذه المعايير الثلاثة؛ التقوى، العلم، العمل الصالح، فمن كان أكثر التزاماً بها فهو الأفضل، سواء كان رجلاً أم امرأة.

### أهلية المرأة للتفوق

لقد أثبت التطور البشري في هذه العصر أنّ حجر الزاوية في مسألة تفوق المرأة أو الرجل يعود إلى مدى الفرص المتاحة أمام كل منهما. وذلك بخلاف النظرة السائدة على مدى حقبة طويلة، التي

(١) محمد بن علي بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، (بيروت: دار المرتضى)، ص ٣٩٥، حديث ٥٨٤٠.

اعتمدت على القوة الجسدية باعتبارها المعيار الأساس للمفاضلة بين الرجل والمرأة. وبما أن كفة القوة الجسدية تميل لصالح الرجل، وهو المتصدّي للمشاركة في الحروب والمعارك، فقد اعتبر ذلك سبباً كافياً لبسط هيمنته على المرأة، وكانت له السيادة المطلقة عليها. ويعود السبب الأساس إلى فتح المجال واسعاً أمام الرجل حصراً على حساب المرأة، ونيله نصيب الأسد من الفرص المتاحة، في مقابل انعدام الفرص أمام المرأة، ما جعل الرجل يبدو في وضع أكثر كفاءة وتفوقاً عبر التاريخ.

ولعلّ حالة المرأة تشبه إلى حدّ كبير حالة المجتمعات والشعوب التي لا يحظى أبنائها بفرص متساوية. فالمجتمعات التي تحظى بفرص أكبر، تزداد في أوساطها الكفاءات في مختلف المجالات، فيما تتضاءل الكفاءات طردياً في المجتمعات المضطهدة، حيث لا يحظى أبنائها بفرص متكافئة مع غيرهم. وبذلك لا يعود سبب تضاؤل الكفاءات في المجتمعات المضطهدة إلى ضعف القابلية عند أبنائها، بقدر ما يعود إلى انعدام مبدأ تكافؤ الفرص أمام الطرفين.

وكذلك الحال بين الرجل والمرأة، فقد سادت عبر التاريخ البشري المعادلة التي تتيح للرجل الهيمنة، وتفتح أمامه كلّ الفرص، في مقابل انسداد الأفق أمام المرأة، لذلك لم يتسنّ للمرأة إبراز قدراتها وكفاءاتها، فبدأ أن الرجل أكثر قدرة وأكثر تأهيلاً، حتى اعتقد البعض أن عقل الرجل أكبر من عقل المرأة تكويناً، وأن كفاءته الذهنية تفوق

المرأة، وقدراته العامة في القيادة والإدارة تتجاوز قدرات المرأة.

غير أنّ جميع ذلك قد تغيّر مع التطورات البشرية والتقدم الهائل على كلّ الصّعد، الذي أتاح للمرأة فرصاً متساوية مع الرجل، ليتبيّن أنّ كلّ تلك المقولات عن قصور المرأة العقلي والذهني والنفسي لا أساس لها، حيث باتت المرأة تنافس الرجل في المضمار العلمي على مستوى الأبحاث والاكتشافات وسائر المجالات، ما يعني أنّ المرأة لا ينقصها شيء لجهة النبوغ العلمي والقابلية المعرفية. وقد أثبتت الأبحاث العلمية في قياس الذكاء البشري عدم وجود قابلية متميزة لدى الرجل تفوق ما عند المرأة في مجال العلم والمعرفة. وغاية ما توصلت إليه الأبحاث أنّ الرجل قد يتفوق على المرأة في بعض الجوانب، لكنها في الوقت عينه قد تتفوق عليه في جوانب أخرى. وإجمالاً، ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأنّ قابلية المرأة أدنى من قابلية الرجل في تلقي العلم والمعرفة، كما في سائر المجالات.

### المرأة ومؤهلات القيادة

وعلى هذا النحو، كان مجال القيادة والإدارة حكراً على الرجل في أغلب فترات التاريخ، غير أنّ التطور البشري وتبلور الحسّ الإنساني في المجتمعات، دفع إلى فتح المجال أمام المرأة، ما جعلها تنافس الرجل في المواقع القيادية، فهناك اليوم تسع عشرة سيّدة يشغلن مناصب رئاسة الحكومة في العالم، ومن بينها دولة مهمّة، هي ألمانيا التي ترأس حكومتها المستشارة انغيلا ميركل، وكذلك الحال في

نيوزلندا والنرويج وفنلندا وتايوان وتزانيا، وتقلدت بعض النساء أعلى المناصب العسكرية في بلدانهنّ، سيّما وأنّ العمل في هذا المجال لم يعد مرتبطاً بالقوة العضلية، بقدر ما بات مرتبطاً بالقدرات العلمية والتكنولوجية، والكفاءة في التعامل مع الأجهزة والمعدات، ووسائل الاتصال والمعلومات، فبات هناك خمس نساء يتقلدن مناصب وزارة الدفاع في ألمانيا وإيطاليا والسويد والنرويج وهولندا.

والتطور الأبرز ما حدث أخيراً من اختيار امرأة نائبة للرئيس الأمريكي لأول مرة في تاريخ الإدارات الأمريكية فقد اختار الرئيس الأمريكي جو بايدن نائباً له السيدة كامالا دينفي هاريس في انتخابات الرئاسة الأمريكية التي فاز بها نهاية عام ٢٠٢٠م.

### حرمان المرأة باسم الدين

من العناصر التي يفتخر بها المسلمون أنّهم أتباع دين استطاع تغيير النظرة السلبية للمرأة، التي كانت سائدة على مدى حقب تاريخية طويلة. غير أنّ ما يدعو للأسف واقع المسلمين الراهن، حيال موضوع المرأة، فهو لا يتناسب مع رؤية الإسلام في الكثير من البلدان والمجتمعات، إذ يقول الإسلام شيئاً، فيما الواقع على الأرض يحكي شيئاً آخر، حيث ما تزال تُنتقص حقوق المرأة في الكثير من البلدان الإسلامية، ويُنظر إليها نظرة دونية، ولا تتوفر لها الأجواء المناسبة، ولا الفرص المتكافئة، للمشاركة في تنمية المجتمع.

وتمثل المرأة نصف المجتمع، وحين يجري عليها الظلم يكون نصف المجتمع مظلوماً. وذلك ينعكس سلبيًا على تنمية المجتمع وتطوره، وهذا أحد جوانب التخلف في مجتمعاتنا. ولو تناولنا مسألة البطالة التي تؤرق بلادنا باعتبارها مؤشراً، فس نجد الارتفاع الهائل في نسبة البطالة في صفوف النساء، سيما في أوساط حاملات الشهادات الجامعية، فهناك الآلاف منهن يقعن في البيوت؛ لعدم حصولهن على فرص العمل، بعد أن أفنين زهرة شبابهن في التحصيل الدراسي، والتغرب خارج البلاد لسنوات كما في حال بعضهن. ولنا أن نتصور حجم الخسارة التنموية عندما يكون هناك الآلاف من الكفاءات المعطلة المهمة. ما يقود إلى السؤال عن السبب في حرمان المرأة من المشاركة والعطاء في خدمة وطنها وتنمية مجتمعتها؟

والأسوأ في الأمر أن يجري التمييز والإساءة للمرأة تحت عنوان الدين، إذ كيف سينظر الناس إلى الإسلام إذا نسبت إليه شتى أنماط الإساءة الواقعة على المرأة، من الظلم والتمييز، والنظرة الدونية، وغياب تكافؤ الفرص أمامها؟ أوليس في ذلك أعظم إساءة إلى الدين؟. إننا عندما نثير مسألة حقوق المرأة، فإننا بذلك لا ندافع عن المرأة فقط، وإنما نقوم بتبرئة ساحة الإسلام من الممارسات التي تنسب إليه، وهي أبعد ما تكون عنه، وما هو إلا الفهم السيئ، والتطبيق الخطأ، ما ينتهي إلى تشريعات منحازة ضد المرأة.

## تيار التشدد ضد المرأة

إن مجتمعاتنا تعاني من وجود تيار ديني متشدد، يمعن في ظلم المرأة ويرفض إنصافها، ويمانع في إتاحة الفرص أمامها. وقد برزت مبكراً ممانعة هذا التيار المتشدد لحقوق المرأة، فحين أقر التعليم الرسمي في البلاد، اقتصر على الذكور، ولم يجر إقرار تعليم البنات إلا بعد سنوات طويلة؛ لأن هذا التيار المتشدد ظل يقف حجر عثرة أمام تعليم المرأة، استناداً إلى مرويات غير ثابتة، وفهم ديني خطأ يقول بمنع المرأة من تعلم القراءة والكتابة. وقد احتاجت البلاد إلى جهود كبيرة، حتى جرى إقرار قيام مؤسسة حكومية خاصة بتعليم البنات، على غرار تعليم الأولاد، ودمجت في السنوات الأخيرة ليتوحد تعليم الذكور والإناث في مؤسسة واحدة.

وقد تكررت ذات الممانعة عند فتح باب العمل أمام المرأة، وكذلك الحال مع مشاركة المرأة في إدارة الشؤون العامة، فقد تعنت المتشددون طويلاً حيال السماح بدخول المرأة في شؤون الولاية العامة حسب مصطلحاتهم المتداولة، برفضهم تبوء المرأة أي منصب وزاري أو نيابي، بل إن بعضهم بالغ في القول إن الأفضل للمرأة ألا تخرج من بيتها. إن هذا الفهم المتشدد ساهم بقوة في تعطيل التنمية، وشوه سمعة الإسلام، ليس أمام الآخرين وحسب، وإنما أمام الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة أيضاً.

وبالرغم مما سبق، فقد تحقّق بعض التقدم على صعيد حقوق

المرأة. حيث أُفرّ منذ زمن التعليم العام للجنسين، وأُتيحت الفرص لعمل المرأة، ودخلت عضوًا في مجلس الشورى، وشاركت في الانتخابات البلدية مرشحة وناخبة، وعلى هذا النحو بدأت المرأة تنال بعضًا من حقوقها، وتشارك في تنمية مجتمعتها، ونأمل استمرار هذه المسيرة، إلى أن تتبوأ المرأة مناصب وزارية ودبلوماسية، سيّما وأنا نرى على المستوى الإقليمي والإسلامي كثيرًا من النساء تبوأن مناصب عليا في بلادهنّ.

إنّ النمو الطبيعي لأيّ مجتمع ينبغي أن يصاحبه مشاركة أوسع للمرأة في تنمية مجتمعتها ووطنها. فمن المؤسف أنّنا بقينا نتحدّث عن حقّ المرأة في قيادة السيارة لزمان طويل، في الوقت الذي كانت فيه المرأة عبر العالم تقود الطائرات بل وتقود الأوطان.

والأنكى من ذلك ما يجري على المرأة من معاناة كبيرة جرّاء القوانين المعوقة لحركتها، والبعيدة عن إنصافها، على صعيد الزواج والطلاق، وحقّ حضانة الأولاد، وغير ذلك. ومع تفاوت الآراء الفقهية حيال قضايا الأسرة، بين آراء موعلة في التشدد، وآراء يطبعها التسامح ومواكبة العصر، لا نجد مبررًا لفرض الآراء المتشدّدة، إنّما ينبغي الاستفادة من تعدّد الآراء في الفقه الإسلامي، وترك الآراء المتشدّدة التي باتت تؤثّر سلبيًا على أوضاع التنمية في مجتمعاتنا، ناهيك عن تشويهها لسمعة الإسلام أمام العالم، وأمام الجيل الصاعد من أبناء الأمة.



ندعو للجرأة في إقرار المزيد من حقوق المرأة. ونؤكد في هذا السياق، على الجميع أن يتأملوا في سلوكهم، ويفحصوا أفكارهم، لينظروا ما إذا كانوا يؤمنون بحقوق المرأة فعلياً، وأن لها حقوقاً مساوية للرجل، كما جاء في الحديث عنه ﷺ: «إن النساء شقائق الرجال»<sup>(١)</sup>، أم أنّهم ما يزالون يضمرون في نفوسهم بعضاً من الآثار الجاهلية التي تعتبر المرأة في مرتبة أدنى من الرجل؛ لأنّ من السهل أن يترنم البعض - على المستوى النظري - بحقوق المرأة، ويتغنّى بالدفاع عن حرّيتها، لكنه فور عودته للمنزل يتعامل مع زوجته وبناته وفق الرؤية والهيمنة الذكورية، وهذا عين الازدواجية والتناقض الفكري. وحرّيّ بنا أن نتذكّر على الدوام الحديث الوارد عن رسول ﷺ: «ما أكرم النساء إلاّ كريم، وما أهانهنّ إلاّ لئيم»<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. سنن الترمذي، ج ١، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٩٠، حديث ١١٣.  
 (٢) كنز العمال، ج ١٦، ص ٣٧١، حديث ٤٤٩٤٣. أورده محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج ١، حديث ٥٤٨.





## المؤهلات الذاتية للمرأة وعوائق التقدم

كما أنّ الرجل يمتلك مؤهلات التفوق والقدرة على بلوغ مراقبي العظمة والفضل، فكذلك المرأة، حيث لا تقلّ شأنًا عن الرجل في امتلاكها القدرة الذاتية على التميز والتفوق. وهذه حقيقة طالما غفلت عنها المجتمعات غير الواعية. والسؤال المطروح هنا، إذا كانت المرأة تمتلك القدرة على تحقيق التميز تمامًا كالرجل، فما تفسير محدودية عدد المتميزات من النساء عبر التاريخ، أو ليس في ذلك تفسير لما يعتقد البعض من أنّ الأصل في المرأة هو عدم الأهلية الذاتية للتميز والتفوق، وما حالات التميز الموجودة عند بعض النساء إلا حالات استثنائية وليست أصلًا؟

### لماذا قلة المتميزات من النساء؟

في الإجابة على هذا الاعتقاد يمكن القول: إنّ قلة عدد المتميزات من النساء عبر التاريخ قياسًا إلى الرجال، يعود إلى الظروف البيئية والاجتماعية التي عاشتها المرأة، والتي لم تكن تتيح أمامها فرص

التفوق والتقدم. وبمعنى آخر لا يعود سبب قلة النساء المتميزات تاريخياً إلى النقص الذاتي في المرأة، ولا لأنها غير مؤهلة للتميز من حيث الأصل.

لقد عاشت المرأة عبر التاريخ ظروفاً قاسية لا تمنحها فرصة البروز والتميز، نتيجة الثقافة الاجتماعية السائدة، وطبيعة تعامل المجتمع معها، مما جعل فرص التميز أمامها في أدنى حالاتها، بخلاف الفرص المتاحة للرجل، التي تتيح له مجالاً أوسع للتقدم على نحو أكبر، فالأمر مرتبط بالمجال المفتوح، والفرص المتاحة للتميز والبروز، أكثر منها ارتباطاً بالقدرات والمؤهلات الذاتية لولوج عالم التميز والتفوق.

واستطراداً، يمكن ملاحظة ارتباط مسألة تحقيق التميز بالفرص المتاحة على مستوى المجتمعات. فبقدر ما تتاح أمام أيّ فئة من البشر الفرص المتساوية للتميز فإنهم سيقترحونها، والعكس بالعكس. إنّ المجتمعات التي تشتكي وقوع التمييز العنصري عليها، كما هو حال الأقلية السوداء في الولايات المتحدة مثلاً، ستفضي سياسة التمييز المفروضة إلى بروز عدد محدود من المتميزين والمتفوقين من السود قياساً على البيض، ومردّد ذلك إلى طبيعة ومستوى التمييز الواقع على السود، وليس كون البيض أكثر أهلية ذاتية للتميز والتفوق، وإنّما لأنّ الظروف الاجتماعية التي يعيشونها توفر لهم فرصاً أكثر للتميز. ولو تطابقت الظروف، وتساوت الفرص، بين أفراد مجتمع السود ومجتمع البيض لاضمحلت الفجوة بين نسب التفوق في أفراد المجتمعين.

## حين تتاح لها الفرصة تثبت كفاءتها

إذا عاشت المرأة أجواء اجتماعية وثقافية مناسبة، فإنها ستثبت كفاءتها وتميّزها، وهذا ما حصل مع النساء المتميزات، اللاتي تحدّث عنهن القرآن الكريم والسنة الشريفة، فقد عشن في أجواء مساعدة من التربية والتوجيه والرعاية، فتفجّرت طاقاتهم، وأخذن مواقعهنّ.

ولعلّ في مسألة تعليم المرأة شاهداً ومثالاً واضحاً، فحتى زمن قريب كان مجال التعليم في كثير من مجتمعاتنا محظوراً على المرأة، وكان من المألوف رؤية المتعلمين وحملة الشهادات من الرجال، في مقابل قلة قليلة من المتعلمات وحملة الشهادات من النساء، لا لشيء إلا لأنّ مجال التعليم كان محظوراً على المرأة، ولكن حينما سمح بتعليم المرأة وفتحت المدارس والجامعات أبوابها أمام المرأة، ثبت أنّ البنات كنّ الأكثر جدية والأشدّ حرصاً وتفوقاً في مجال التعليم من الأولاد في كثير من الأحيان.

وفي هذا الصّدد، ذكر باحثون: أنّهم أجروا دراسة مقارنة للإنجازات العلمية لمليون ونصف المليون فتى وفتاة عبر العالم، ممن كانوا في سنّ الخامسة عشرة، وذلك في الفترة بين عام ٢٠٠٠ و ٢٠١٠، وتبيّن للباحثين أنّ الفتيات تفوقن على الأولاد في مواد القراءة والرياضيات والعلوم، حتى في أكثر الدول محافظة<sup>(١)</sup>. وهذا التفاوت

(١) نشر على موقع الجزيرة نت بتاريخ الثلاثاء ١٢/٥/١٤٣٦ هـ الموافق ٣/٣/٢٠١٥ م.

في التحصيل الدراسي أمر ملحوظ عند أكثر العوائل التي يوجد بها أولاد وفتيات، فالبنت غالباً يظهرن أكثر جدية في التعلم. ما يثبت أنّ المرأة من الناحية الذاتية ليست بأيّ حالٍ أقلّ قدرة من الرجل على التعلم واكتساب المعرفة.

وقد كشفت تجارب الأمم الحديثة عن إثبات المرأة حضورها في شتى المجالات. فبعد أن أتيحت الفرصة أمام النساء في مختلف بلاد العالم، وفي طليعتها بلدان أوروبا وأمريكا، لدخول الأعمال الإدارية والاقتصادية، واقتحام العمل السياسي، أثبتن كفاءتهنّ وتميزهنّ، ولم يكنّ أقل من الرجال. وقد سجلت بعض البرلمانات حضوراً متقدماً للمرأة، حيث بلغت نسبة النساء في البرلمان السويدي ٤٥ بالمئة من الأعضاء، وفي البرلمان الألماني ٣٣ بالمئة، وعلى المستوى العربي هيمنت التونسيات على ٣١ بالمئة من مقاعد البرلمان. وأبعد من ذلك، تربعت نساء على دكة القضاء في عدد من البلدان، دون أن يلحظ أحدٌ أدنى فرق في مستوى الكفاءة والقدرة بينهنّ وبين القضاة الرجال.

### النظرة الدونية للمرأة في مجتمعاتنا

إنّ المجتمعات المتخلفة، ومنها مجتمعاتنا، تعاني مشكلات جذرية حيال المرأة. ومن أبرز ذلك أمران، أولهما النظرة الدونية للمرأة، وانتشار الثقافة المكرسة لهذه النظرة، التي تعتبر المرأة أدنى قيمة وكفاءة من الرجل، ليس فقط عند البشر، وإنما أدنى مرتبة حتى

عند الله عزّ وجلّ بزعمهم، مستدلّين في ذلك ببعض النصوص الدينية غير الصحيحة، أو المنزوعة من سياقها أو المفسّرة على نحو خطأ. واللافت أنّ هذه النظرة الخطأ تأخذ مفاعيلها على عقل ونفسية الإنسان الذي يكون محلاً للتعامل بدونية، فينعكس هذا التعامل على نفسيته ونظرته لذاته.

ويذكر الباحث السعودي محمد عبد الرزاق القشعمي، في دراسة حديثة بعنوان «المرأة في المملكة العربية السعودية كيف كانت وكيف أصبحت»، جانباً مما عايشه شخصياً حيال النظرة الدونية للمرأة، قبل نحو خمسة عقود من الزمن، التي لا تزال بعض آثارها قائمة حتى الآن، حيث يروي القشعمي في دراسته، أنه عندما كان في سنّ الثانية عشرة، وقد انتقل حينها من القصيم إلى مدينة الرياض، وبينما كان ينتظر أمام أحد المخابز ذات يوم، التقى أحد أبناء قريته القصيمية، وكان قد سمع بأنّ الرجل قد فقد بالأمس القريب زوجته وأمّ أولاده، فأقبل عليه معزياً بوفاتها، فما كان من الرجل إلّا أن انتفض محتجاً على تعزيتة في وفاة امرأته، قائلاً بلهجته النجدية: «أفا.. تعزيني بامرأة»، وأردف الرجل بأنّ المرأة مثل النعل يمكنك أن تخلعها وتلبس غيرها وقت تشاء، في إشارة إلى توغلّ النظرة الدونية للمرأة في ذلك الزمن. كما ينقل القشعمي في كتابه، إنه في الفترة ذاتها كان هناك قرار رسمي يحظر على الصحف نشر أسماء النساء الكاتبات في صفحاتها، واستشهد في هذا السياق بنصّ للكاتب عبد الكريم الجهيمان نشر في جريدة

القصيم، تحت عنوان «الأسماء المحظور نشرها» معلقاً على قرار من وزارة الإعلام بمنع نشر أسماء النساء اللاتي يكتبن في الصحف، فقد كان حينها مجرد نشر اسم الكاتبة في الصحيفة يدخل في مقام العيب<sup>(١)</sup>.

ولعلّ كثيرين في مجتمعاتنا ما يزالون يلمسون آثار النظرة الدونية للمرأة حتى وقتنا الراهن. ومن ذلك أنفة البعض من ذكر أسماء زوجاتهم، وتسميتهنّ بدلاً عن ذلك بأسماء عامة، كأن يطلق على زوجته وصف العائلة أو الأهل أو المرأة، في إشارة ضمنية عند هؤلاء إلى أنّ اسم المرأة يدخل في باب العورة، متناسين أنّ القرآن الكريم تناول صراحة أسماء بعض أزواج الأنبياء وأمّهاتهم، وقد تحدّث النبي ﷺ عن زوجته خديجة علناً، ذاكراً إيّاها باسمها، وكذا الحال مع ابنته فاطمة الزهراء ﷺ. إنّ هذه الثقافة الخطأ السائدة في مجتمعاتنا حيال المرأة، التي ما تزال آثارها موجودة، تمثل معوقاً أساساً من معوقات إبراز المرأة في مجتمعاتنا لكفاءتها وقدراتها.

### حرمان المرأة من فرص العمل

إنّ النظرة الدونية والحرمان من الفرص، هما أبرز المعوقات التي تكبّل المرأة، وتمنعها من أن تقوم بدورها المطلوب في تنمية المجتمع، والمشاركة في إدارة شؤونه. ولعلّ نظرة عابرة إلى نسب البطالة النسائية

(١) المرأة في المملكة العربية السعودية كيف كانت وكيف أصبحت؟، الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ (الرياض: دار المفردات)، ص ١٤-١٥.



في المملكة تكشف عن جانب كبير من المعاناة، فهناك تقديرات تصل بالبطالة في أوساط النساء إلى ٤, ٢٤ بالمئة من قوة العمل النسائية، وقد كشف إحصاء حول المتقدمين لبرنامج دعم العاطلين عن العمل («حافز»)، عن أنّ ٨٠ بالمئة من طالبي الدعم هنّ من النساء، وأنّ معظمهنّ من حملة الشهادات العلمية. وعلى هذا النحو هناك أعداد كبيرة من الخريجات اللاتي ما زلن يدخلن في طواير العاطلين عن العمل كلّ عام، وقد طال ذلك الخريجات اللاتي درسن ضمن برامج الابتعاث الخارجي، وتكّلف تعليمهنّ أموالاً طائلة من خزينة الدولة والشعب، وبعد تخرجهنّ بقين في بيوتهنّ، نظرًا لمحدودية الفرص المتاحة أمامهنّ.

وخلاصة القول إنّ المرأة لا تنقصها الكفاءة والأهلية الذاتية. بل إنّها مؤهلة للمنافسة الحقيقية مع الرجل، في مختلف الأدوار والمجالات، شريطة أن تفتح الأبواب الموصدة أمامها، وأن تمنحها البيئة الاجتماعية الثقة بنفسها، بعيدًا عن تكريس النظرة الدونية لذاتها. وقد حصل تطور كبير في السنتين الأخيرتين لجهة تمكين المرأة من مختلف فرص التوظيف والعمل في القطاع العام والخاص.





## المرأة واستحقاقات المشاركة

نسب ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام أنه قال: «لا تفسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم»<sup>(١)</sup>. هذه الرواية لم ترد في أي مصدرٍ من المصادر، بل انفرد ابن أبي الحديد بنسبتها للإمام، دون ذكر سند أو مصدر.

لكن بعض الكتب نسبتها إلى أفلاطون، الذي عاش بين ٤٢٧ إلى ٣٤٧ قبل الميلاد، وبغض النظر عن قائل هذه الكلمة، يهمننا معنى الكلمة ومضمونها.

إن كل زمان من الأزمنة يتطلب آداباً اجتماعية معينة، والآداب تعبير عن الأعراف والتقاليد الاجتماعية، وهي متغيرة متجددة بطبيعة الحال.

وفي التراث الديني هناك أحكام شرعية، وهناك آداب لا تأخذ صفة الإلزام.

---

(١) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٢٦٧.



فهناك آداب المائدة وتناول الطعام، وآداب النوم، وآداب قضاء الحاجة، وآداب التعامل الاجتماعي، فهي الأعراف والسلوكيات المتعارفة أو المفضلة في كل مجال من مجالات الحياة الفردية أو الاجتماعية، وكل زمن من الأزمنة تكون فيه آداب متناسبة مع طبيعة ذلك الزمن.

### الأعراف الاجتماعية وتطور الحياة

عادة ما يحدث صراع بين الأجيال، جيل نشأ على أعراف وعادات وتقاليد معينة، وجيل آخر له ظروفه المختلفة، وله أنظمة حياتية مغايرة، تدعوه لاستحداث أعراف جديدة، لكن الجيل السابق قد يصعب عليه أن يبدل ما ألفه من عادات، فيحدث صراع بين جيلين، الآباء يسعون لفرض عاداتهم على أبنائهم.

أمير المؤمنين عليه السلام - إن صحت نسبة الكلمة إليه - يدعو لعدم فرض العادات والتقاليد على الأبناء، فقد تكون مناسبة لزمان الآباء، لكنها لا تتناسب مع جيل الأبناء، فعادة ما تكون التقاليد من وحي احتياجات الجيل وتفاعلهم مع ظروف حياتهم، فلا يصح للآباء أن يقسروا أبنائهم على الأعراف التي كانوا سائرين عليها.

من جهة أخرى فإن خبرة الإنسان بالحياة تزداد كلما تقدم الزمن، كما تنفتح أمامه آفاق الاستفادة من خيرات الكون والحياة، فمن عاش في الزمن الماضي لم تتح له فرص اليوم.

لقد اكتسب الجيل الجديد خبرة، وانفتحت أمامه آفاق واسعة، ومن الطبيعي أن تنعكس على أفكاره وسلوكه، كما تؤثر على عاداته وتقاليده، من هنا ينبغي أخذ ذلك بعين الاعتبار.

فعلى سبيل المثال كانت بعض المجتمعات تعيش حالة البداوة، ينتقلون من مكان إلى آخر، وعندما تحضروا وسكنوا المدن، استلزم ذلك أعرافاً وتقاليد ونمط علاقات جديدة، وكذلك حينما كان المجتمع زراعياً يعتمد على الزراعة، أو دخول البحر للغوص أو الصيد، كانت تحكمه أعراف وتقاليد، تختلف عن مرحلة التعليم والانتقال إلى مرحلة المهن والصناعات والوظائف، فقد أصبح في وضع جديد، أفرز عادات وسلوكيات وأفكاراً جديدة، وعادة ما يسعى الجيل السابق للمحافظة على ما ألف من عادات وسلوكيات، فيعرقل طريق أبنائه في الانتقال إلى العادات الجديدة التي تواكب تطور الحياة.

وكثيراً ما تأخذ الأعراف في المجتمعات المتدينة صبغه دينية، فتصبح العادات والأعراف وكأنها جزءاً من الدين، وذلك من أجل المحافظة عليها، وإذا أراد الأبناء أن يغيروا بعض العادات، يتهمهم الآباء بالتمرد على الدين، وليس ذلك إلا تبريراً للحفاظ على الأعراف والتقاليد التي نشأ عليها الجيل السابق، ولا يريد أن ينتقل منها إلى أعراف متطورة جديدة.

## المرأة وقيادة السيارة

قرار قيادة المرأة للسيارة، هو استحقاق طبيعي، حرمت المرأة منه زمنًا طويلاً، دون مبررات معقولة، إلا الاستجابة لأعراف وتقاليد تنطلق من نظرة دونية للمرأة، فهي - وفق هذه النظرة - لا تساوي الرجل في وظائفها ومهامها وحركتها، فالأفضلية للرجل، ولا ينبغي أن يفسح المجال للمرأة لممارسة بعض الأدوار، واعتبر البعض أن قيادة السيارة من هذا النوع!

والسؤال: هل هناك نصّ شرعي يقيّد حركة المرأة على هذا الصعيد؟!

لقد كانت تستخدم الدابة في صدر الإسلام، فهي وسيلة المواصلات المتعارفة في ذلك الزمن، وإلى وقت قريب كانت المرأة في مجتمعاتنا الزراعية تستخدم الدابة.

ومع تطور الزمن أصبحت وسيلة المواصلات هي السيارة، وليس هناك نصّ شرعي يمنع استعمال المرأة لها، لكن بعض المتدينين يبررون المنع بقاعدة (سدّ الذرائع)، ويرون أن قيادة المرأة للسيارة توفر أجواء الفساد والانحرافات والمخالفات الأخلاقية، ونحن كمجتمع مسلم نريد الحفاظ على العفة والاحتشام!

لكن هل العفة والاحتشام تكليف خاص بالمرأة، أم هو تكليف مشترك؟!

إنه تكليف مشترك بين الرجل والمرأة، ولا يصح لنا أن نسجن

المرأة من أجل الحفاظ على العفة!!

العفاف في المجتمع لا يتحقق بسجن المرأة وإطلاق الفرص أمام الرجل، وإنما يكون ذلك بالثقافة وسن القوانين الضابطة لكل الأطراف.

البعوض يفترض أن المرأة هي مصدر السوء، وهو افتراض خطأ، وإن أعطي صبغة دينية، حتى إنهم وضعوا نصوصاً تفيد أن أبانا آدم ﷺ لم يكن ليعصي الله لولا تأثير حواء المرأة، بينما القرآن الكريم يقول بكل صراحة: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ \* فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [سورة طه، الآيات: ١٢٠-١٢١].

ليس لدينا نص قرآني يثبت أن المرأة هي سبب الغواية، هذه ثقافة متخلفة ونظرة دونية للمرأة. وفي هذا السياق تأتي مقولة: (لا يجوز للمرأة أن ترفع صوتها)، و(لا يجوز للمرأة أن تكشف وجهها)، و(لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها)!!.

وهكذا لا يصح لها أن تتوظف أو تقود السيارة! فتجلس في بيتها، وتكون الفرصة مفتوحة أمام الرجل من أجل الحفاظ على العفة!

وعلى المرأة أن تدفع الثمن، فتقيّد وتكبّل!

من أين جاء هذا التكليف؟!



## العفة والاحتشام تكليف مشترك

القرآن الكريم حينما يتحدث عن العفة والاحتشام يخاطب الرجل أولاً بالتكليف، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بعد ذلك تقول الآية: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ فالحفاظ على العفة والاحتشام تكليف مشترك.

إن تقييد حركة المرأة وإطلاق حرية الرجل، من أجل المحافظة على العفة والاحتشام، ظلم لا أساس له في الدين، وبناءً على هذه الفكرة حُرمت المرأة من أي استحقاق على صعيد المشاركة في الحياة العامة، فحينما بدأ التعليم في بلادنا اقتصر فتح المدارس على الأولاد فقط، ولم يفسح المجال أمام تعليم البنات إلا بعد ثلاثين سنة!!

وقد أورد أصحاب هذا التوجه روايات ونصوص تمنع الفتاة من تعلم القراءة والكتابة، ونسبوا إلى رسول الله ﷺ حديثاً يقول: «لا تنزلوا النساء بالغرف، ولا تعلموهن الكتابة»!!

وحديث آخر نسبوه للنبي ﷺ: «لا تعلموا نساءكم الكتابة ولا تسكنوهن العاللي».

(الغرف) و (العاللي) أي الطابق الثاني من البيت أو المكان المرتفع، فالنساء يجب أن يسكن في الطابق الأول، والرجال في



الطابق الأعلى، لتمييز الرجل وتفوقه.

هذه الأحاديث مردودة دراية ورواية، سنداً وامتناً، وقد تكلم فيها علماء الحديث ورفضوها، انظر كتاب المجروحين لابن حبان (ج ٢، ص ٣٠١)، وإتحاف المهرة لابن حجر العسقلاني (ج ١٧، ص ٣٤٤)، وميزان الاعتدال للذهبي (ج ٣، ص ٤٤٦)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (حديث رقم ٢٠١٧)، وقد وصف الشيخ المجلسي حديث (لا تنزلوا النساء بالغرف ولا تعلموهن الكتابة) بأنه (ضعيف على المشهور)<sup>(١)</sup>، وأما رده من حيث المتن والمعنى فظاهر واضح؛ فالشرع حثّ على طلب العلم، وأعلى من شأن العلماء، ولم يفرق بين ذكر وأنثى.

والشيعة يتحدثون عن مصحف فاطمة عليها السلام، وهو سجل كتبت فيه ابنة النبي صلى الله عليه وآله أحاديث سمعتها من أبيها صلى الله عليه وآله، كما دونت فيه بعضاً من تفسير القرآن، والمسلمون يتحدثون عن روايات أمهات المؤمنين والصحابيات، فمن أين جاء (لا تعلموهن الكتابة)!!؟

وقد رد الشيخ الألباني على من قال بأن النهي لمن يخشى عليها بقوله: (لو كان المراد من حديث النهي من يخشى عليها الفساد من التعليم لم يكن هناك فائدة من تخصيص النساء بالنهي؛ لأنّ الخشية لا تختص بهنّ، فكم من رجل كانت الكتابة عليه ضرراً في دينه وخلقه،

(١) محمد باقر المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٢٠، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ص ٣٣٢.

أفينهى أيضًا الرجال أن يعلموا الكتابة؟! بل وعن تعلم القراءة أيضًا؛ لأنها مثل الكتابة من حيث الخشية! والحقُّ أنّ الكتابة والقراءة، نعمة من نعم الله تبارك وتعالى على البشر كما يشير إلى ذلك قوله عزّ وجل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾<sup>(١)</sup>.

### تحالف مفروض على المرأة

وهذا ما أحرّ المرأة عقودًا من الزمن، وعندما بدأت مدارس تعليم البنات تحفظ كثيرًا من الناس، ولم يدخلوا بناتهم المدارس، خاصة في الأوساط الدينية!!

وبعد أن تعلمت الفتاة وتخرجت، بدأ النقاش في دخولها عالم الوظيفة والعمل، وهل يحقّ لها أن تمارس دورًا غير وظيفتها المنزلية؟!!

إنّ دور المرأة وشغلها محصور في البيت، في الطبخ والكنس والتنظيف وتربية الأطفال، وليس من شأنها أن تعمل خارج المنزل!! هكذا حوصرت المرأة وقيّدت بمجموعة من العادات التي أعطيت صبغة دينية، واحتاجت عقودًا من الزمن حتى يقبل المجتمع مشاركتها كمعلمة أو طبيبة، أو غيرها من الوظائف!!

(١) محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، (بيروت: المكتب الإسلامي)، ص٢٩٦.

وهنا سؤال عريض لا نملك الإجابة عليه!

كيف وصلت المرأة في المجتمعات الأخرى إلى دفة القيادة، وأصبحت وزيرة تتقلد وزارات مهمة كالدفاع والداخلية والخارجية، بل أصبحت في بعض الدول رئيسة وزراء؟!

في المجتمعات المتقدمة وصلت المرأة إلى هذا المستوى، وفي مجتمعاتنا نناقش: هل يمكن أن تشارك المرأة في المجلس البلدي أو غرفة التجارة أو مجلس الشورى أم لا؟!

هذا يكشف عن خلل في الثقافة، وتأخر في المستوى الحضاري، فليس هناك أي مبرر لهذه التحفظات والتساؤلات، ولا بُدّ من تجاوز هذه النظرة الدونية للمرأة، وإعادة الصياغة لمفهوم العفة والاحتشام.

في الدول الغربية يجري الحديث عن المناصفة في مجلس الوزراء، وفي إحدى الدول بلغت نسبة الوزارات في مجلس الوزراء ستين في المئة، فإسبانيا مثلاً عيّنت رئيس الوزراء خوسيه لويس ثباتيرو (٩) وزيرات مقابل (٨) وزراء<sup>(١)</sup>، وقد نشر موقع (بي بي سي) بتاريخ ١٤ يوليو ٢٠١٦م مقالاً بعنوان: (نساء يحكمن العالم) تحدث عن (٩) سيدات يتقلدن منصب رئيس الوزراء في بلادهن<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيفة الشرق الأوسط: الأربعاء ٩ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ الموافق ١٦ أبريل ٢٠٠٨م، العدد ١٠٧٣٢.

(٢) [http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016/07/160714\\_world\\_women\\_](http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016/07/160714_world_women_power_leaders)







## لماذا تُضهد المرأة في المجتمعات الإسلامية؟

ثمة حقيقة كاشفة تشير إليها النصوص الدينية والسيرة النبوية حول المرأة، وهي أنّ الأنوثة لا تقعد بالمرأة عن منافسة الرجال أو التفوق عليهم. فكون المرأة أنثى لا يعني بأيّ حالٍ أنها في مرتبة أدنى، وإنما بإمكانها أن تصل إلى أعلى الرتب. فالأنوثة ليست مرتبة دونية، والذكورة ليست بحدّ ذاتها مرتبة عالية، بقدر ما هناك معايير ومقاييس إذا توفرت في إنسان، رجلاً كان أم امرأة، فيإمكانه أن يشقّ الطريق نحو الفضل والعظمة، والمكانة العالية عند الله وعند الناس.

### المرأة قد تفوق الرجل

إنّ آيات الكتاب الكريم تشير بوضوح إلى أن المرأة مؤهلة كما الرجل إلى بلوغ درجات الكمال. فكونها امرأة لا يعني أنّها أقلّ من أن ترتقي وتتقدم وتزداد تميّزاً، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرَّجَالِ»<sup>(١)</sup>، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

(١) سنن الترمذي، ج ١، ص ٩٠، حديث ١١٣.

مَنْ ذَكَرَ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿[سورة الحجرات، الآية: ١٣]، فالتقوى هي المقياس بحسب الآية الكريمة وليست الذكورة أو الأنوثة، وتبعاً لذلك أيما امرأة كانت أكثر تقى فستكون أكثر فضلاً بطبيعة الحال.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]، فلا فرق عند الله بين الرجل والمرأة، روحاً وعقلاً وسلوكاً. وليس هناك مجال من المجالات يتمييز الرجال بالسباق فيه على النساء، فكل الميادين مفتوحة أمام المرأة، تماماً كما هي مفتوحة أمام الرجل، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]، فالميادين كلها مفتوحة أمام المرأة لكي تنافس وتتقدم وتتفوق وترتقي.

### لا نزال ننتقص المرأة

إن واقع المجتمعات الإسلامية اليوم صادم إلى حد كبير على صعيد قضايا المرأة. حتى إن المرء ليستغرب من هذه المجتمعات التي تدين بالإسلام الذي يحدد رؤيته للمرأة على النحو السالف الذكر، إلا أن المرأة ظلت تعاني الاضطهاد والاجحاف والتنكر لحقوقها في الكثير

من المجتمعات المسلمة، حتى إن بعضهم لا يزالون إلى اليوم يعدون المرأة في مرتبة أدنى، فإذا جاء ذكر النساء على لسانه، استدرك مخاطباً مستمعيه بعبارة: كرمكم الله!.

إنّ هذا السلوك ينبى عن وجود ذهنية لاواعية عند الكثيرين، مضمونها دونية وانحطاط منزلة المرأة قياساً إلى الرجل، حيث استغرقنا زمنًا طويلاً وجهداً مضنياً حتى يقبل البعض بتعليم المرأة، والغريب أن هؤلاء الناس الذين يقول نبيهم ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>، يرفضون أن تتعلم المرأة، ويتطلب الأمر معاناة طويلة حتى تفتتح مدارس لتعليم البنات، كما نحتاج إلى جهود مضنية حتى تُقبل المرأة عضواً في مجلس الشورى، وكذلك الحال مع انتخاب المرأة في المجالس البلدية، والأمر نفسه يجرى مع انتخابها في غرف التجارة، وكذلك في كل المواقع، إذ لا مانع دينياً يحظر على المرأة المشاركة، أولم تكن المرأة عبر التاريخ الإسلامي شريكة كاملة مع الرجل المسلم في كل الميادين والمجالات!؟

إنّ جميع ما سبق في كفة، وما تعانيه المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية من سوء المعاملة في كفة أخرى. فعلى الرغم مما يكرره العلماء والدعاة صبح مساء حول تكريم الإسلام للمرأة، إلا أن الكلام شيء وما يجري على أرض الواقع شيء آخر، ولو شئنا الإشارة إلى مورد واحد فقط من موارد كثيرة على هذا الصعيد، فيكفينا الإشارة إلى مسألة العضل

(١) صحيح سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٩٢، حديث ١٨٤/٢٢٣.

الشائعة في مجتمعاتنا، فكثيراً ما تورد التقارير أخبار فتيات بلغن سنّ الرشد، ويتطلّعن إلى الزواج، وغالباً ما يطرق أبوابهن الخطّاب واحداً تلو الآخر طلباً للزواج، لكن جميع آمالهنّ تتحطم نتيجة رفض آبائهنّ غير المبرر!.

وقد تحدثت فتاة تشتكي أهلها الذين يرفضون تزويجها رغم طلب يدها من قبل خمسة وعشرين شاباً خاطباً!، وتقول في شكواها إنّ تدخلات العائلة في هذا الشأن أفسدت عليها حياتها، فإذا وافق أبوها على خاطب رفضته أمها، وإذا وافقت أمها رفضه أخوها أو خالتها أو عمته، وهكذا بلغت سنّ الثلاثين من العمر وهي على هذا الحال البائس!. هذا التصرف من العائلة مرفوض جملة وتفصيلاً، فما هكذا ينبغي أن نتعامل مع بناتنا.

### العضل جريمة كبرى

هنا ينبغي الإشارة إلى أنّ جميع الفقهاء من جميع المذاهب الإسلامية يرفضون عضل البنات. وفي هذا الصدد يمكن القول إنّ هناك نقاشاً واختلافاً بين الفقهاء حول مدى حاجة الفتاة البكر إلى إذن وليّها حينما تكون بالغاً رشيداً وفق التعبير الفقهي، إلا أنّ كلّ الفقهاء من السنة والشيعة لا يقبلون العضل، فإذا ما تقدم للفتاة خاطب كفء فلا يجوز للأب أن يمنعها من الزواج، وإذا منعها فإنّ الحاكم الشرعي له أن يرفع الولاية عن الأب ويزوج البنت، فالعضل محرّم شرعاً وعلى



نحو قطعي .

والأسوأ من ذلك هو ما يتداول من أسباب تدفع البعض لعضل البنات، التي تعود في بعض الأحيان لأسباب مالية، فقد تكون البنت موظفة وتستلم راتباً جيداً، فيرفض الأب تزويجها طمعاً في مرتبتها! .

وقد أوردت تقارير صحفية أنّ من ضمن أسباب العضل الذي يمارسه بعض الأشقاء هو وجود إرث كبير لدى أخته، فيرفض تزويجها تحت ذريعة عدم انتقال الإرث إلى تصرف زوجها!، فولاية الأخ على الأخت في النكاح قائمة في الفقه السني كما هو معروف، بخلاف الفقه الشيعي الذي لا يرى ولاية للأخ على أخته، وقد نشرت الصحف مؤخراً خبراً مستغرباً حول رفض محام تزويج ثمانٍ من أخواته، ستّ منهن غير شقيقات، وقد تجاوز بعضهن سنّ الأربعين، وهذا وهو محام يعرف القوانين وعلى اطلاع على حقوق الإنسان<sup>(١)</sup>!. فكيف يقبل مجتمع يدين بالإسلام، أن يحدث فيه هذا الأمر؟!

### الفتاة بين الاحترام والتهميش

خلق الله سبحانه وتعالى المرأة لتقوم بأدوار إنسانية عظيمة، فهي شريكة الرجل في إعمار الكون وإدارة الحياة. وقد أعدّها الخالق سبحانه للعب دور الأمومة، بدءاً من الحمل والحضانة وانتهاء

(١) صحيفة الاقتصادية، السبت ١٦ ذو القعدة ١٤٣١هـ. الموافق ٢٣ أكتوبر ٢٠١٠م،

بالتنشئة. وتحتاج هذه المهمة إلى مؤهلات بيولوجية ونفسية خاصة، وإلى مخزونٍ كبيرٍ من العاطفة والمشاعر المرهفة لتعينها في القيام بواجباتها، إن تميز المرأة بقدر كبير من العاطفة لا يمثل عيباً فيها بأيِّ حال من الأحوال، كما قد يظن بعض الناس خطأً، فلولا هذا المخزون العاطفي لما طاقَت الحمل تسعة أشهر، ولما صبرت على آلام الولادة، وتعب الرضاعة، ومعاناة التنشئة. ينبغي النظر في حقيقة الأمر إلى هذه القدرات باعتبارها مؤهلات ونعم من الله بها على الأنثى لتمارس دورها العظيم في هذه الحياة.

إن تميز المرأة بفيض عاطفي لا يتناقض وامتلاكها القدرات العقلية المتميزة. فالمرأة كالرجل في سائر المقومات، لكنها تمتاز عليه بهذا الشراء العاطفي الذي جبلت عليه للقيام بأدوارها الحيوية الكبيرة.

### الرعاية العاطفية للمرأة

من هنا ينبغي للمحيط العائلي، وخصوصاً الآباء والأزواج، أن يأخذوا هذا الأمر بعين الاعتبار، فيتعاملون مع البنت بقدر كبير من الرعاية والاهتمام، لإشباع عاطفتها؛ ذلك لأن البنت ستكون أقرب للإصابة بالأزمات النفسية، والمشاكل السلوكية، إذا ما عانت من جوع وفراغ عاطفيين في محيطها العائلي، الأمر الذي سوف ينعكس سلباً على دورها التربوي مع زوجها وأبنائها.

ثمة كثير من النصوص الدينية التي تشدّد على أهمية التعامل

الرقيق مع البنات. فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رفقاً بالقوارير»<sup>(١)</sup>، ومضمون ذلك ضرورة إيلاء المرأة أقصى قدرٍ من المراعاة، وينطوي الحديث على تشبيه لطيف، كما لو كان المرء يحمل القوارير الزجاجية والخزفية بعناية خشية سقوطها وتعرضها للكسر والتحطم، بخلاف ما إذا حمل شيئاً خشناً وثقيلاً كالخشب والحجارة فهي أبعد ما تكون عن خطر التعرض للكسر بسهولة. إن التعامل مع النساء ينبغي أن يكون في غاية الرفق، ذلك أن مشاعر المرأة أقرب ما تكون للانكسار إزاء التعامل الخشن، وفي حال إهمالها والتعامل الجاف معها. إن ذات الأمر ينسحب على الزوجة، فحينما تنكسر مشاعرها وأحاسيسها فسيكون لهذا أثر سلبي عليها وعلى دورها العائلي والاجتماعي، الأمر الذي يدعونا لتذكر هذا النص الديني (رفقاً بالقوارير) ووضعه باستمرار نصب أعيننا.

وفي نصٍّ آخر عن عليّ ؑ: «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»<sup>(٢)</sup>، والقهرمان هو الشخص الموكل بجباية أموال الخراج من الناس، فمثل هذا الشخص غالباً ما تتسم علاقته بالناس وعلاقة الناس به بالشدّة والنزعة للتحدي، إن هذا النص يريد أن يقول بإن علاقتك أيها الرجل مع زوجتك لا ينبغي أن تكون قائمة على أساس المناكفة والتحدي، بل على العكس من ذلك تماماً، فهي ريحانة ينبغي التعامل معها بلطف.

(١) بحار الأنوار. ج ١٦، ص ٢٩٧. وأيضاً مجمع الزوائد للهيتمي، ج ٨، ص ٢٠.

(٢) الكافي. ج ٥، ص ٥١٠.

وفي حديث ثالث روي عن النبي ﷺ: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإن من فرح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل»<sup>(١)</sup>، وجوهر هذا التصرف يشير إلى أهمية مراعاة المشاعر والأحاسيس للبنات تحديداً. جُلَّ هذه النصوص تنزع في حقيقة الأمر نحو التأكيد على التعامل اللين مع البنات.

### حق الفتاة أن تقرر لنفسها

في سياق موازٍ ينبغي أن نضع بعين الاعتبار أننا نعيش اليوم عصر انطلاق الحريات الفردية والعامّة لدى أغلب شعوب المعمورة، وباتت مسألة حق اتخاذ القرارات الشخصية جزءاً لا يتجزأ من شخصية الفرد، لا فرق في ذلك ذكراً كان أم أنثى. فقد بات الشاب والشابة يريان في نفسيهما القدرة التامة على اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهما، لذلك تجد الواحد منهما يرفض التهميش، سيان في ذلك على المستوى الفردي أو الجمعي. من هذه الزاوية يمكن فهم تطلع الشعوب إلى المشاركة السياسية في إدارة أوطانها، ولذات السبب غدا من الصعب إقناع النساء اللاتي يمثلن نصف المجتمع بأن لا حقّ لهن في اتخاذ القرارات التي ترتبط بمستقبلهن.

ولعلّ أحد أهم الحقوق الفردية التي ينبغي احترامها على صعيد

(١) وسائل الشيعة. ج ٢١، ص ٥١٤، حديث ٢٧٧٢٨.

الفتيات هو الحق في اختيار شريك الحياة أو الانفصال عنه. إن اتخاذ قرار الموافقة على الزواج يُعدّ قرارًا مصيريًا للفتاة، فحينما تبلغ البنت مبالغ النساء لا شك أنها تميل من الناحية الجسمية والنفسية والاجتماعية إلى تغليب مصلحتها في الزواج، سيما لجهة الخصوصية المحافضة لمجتمعنا، وذلك على النقيض من المجتمعات الأخرى التي تجاوزت نوعاً ما هذه المشكلة، حتى غدت الحاجة الأسرية لوجود الزوج في تلك المجتمعات لا تقارن بمثلتها عندنا، فالمرأة هناك حتى لو لم تتزوج وبقيت عانساً، فإنها تستطيع في تلك المجتمعات أن تسيّر أمور حياتها بنفسها على نحو اعتيادي.

في مقابل ذلك تبرز جملة من الصعوبات الهائلة أمام المرأة غير المتزوجة في المجتمعات المحافضة، إذ يصعب عليها عادة أن تسيّر أمورها بدون الرجل، ناهيك عن النظرة الاجتماعية التي تغمز من طرف تأخر الزواج ووقوعها في حالة العنوسة. علماً أن مسألة الزواج هي قسمة ونصيب كما يقال، ولا يُعدّ عدم الزواج بأيّ حال دليلاً على الضعف أو الفشل أو السوء، كما هو شائع في ثقافتنا الاجتماعية سيما في الوسط النسائي.

ثمة عوامل عديدة طرأت على الحياة الاجتماعية فأفرزت ظاهرة العنوسة التي يحق للفتيات أن يخشين الوقوع ضحية لها. لقد أضحت العنوسة شبحاً أمام الفتيات، ولذلك فمن حق الفتاة في مجتمعنا أن تعيش مخاوف تأخر الزواج حتى لا تقع في ذلك الفخ، حيث يتقدم بها

العمر دون أن تجد من يقترن بها، فتخسر بذلك فرصة استكمال حياتها العاطفية والاجتماعية.

إن مشكلة بعض الآباء تكمن في غفلتهم عن مستوى القلق الهائل الذي ينتاب بناتهم إزاء أمر الزواج، ولذلك تجد بعضهم يتشدد في وضع الشروط التعجيزية أمام زواج ابنته، هذه البنت التي ربما ترى نفسها قاب قوسين أو أدنى من شبح العنوسة المخيف. إن من حق البنت أن تخشى تفويت فرصة الزواج، بسبب تعنت الأب في الموافقة على زواجها تحت ذرائع وحجج غير مبررة في الكثير من الأحيان، سيما وقد ناهزت إحصائيات العنوسة في المملكة قرابة المليون عانس، كما تشير إلى ذلك تقارير وزارة التخطيط<sup>(١)</sup>، ولعل ذلك عائد إلى عوامل عديدة طرأت على الحياة الاجتماعية حتى أفرزت هذه الظاهرة. فمن حق البنت أن تخشى تفويت فرصة الزواج، بسبب تعنت الأب.

### الفتاة وقرار الزواج

إن أخطر ما يمكن أن يحطم حياة البنت هو اتخاذ العائلة قرار تزويجها نيابة عنها، وبمنأى عن رأيها!. فحين تشعر الفتاة أنها مهمشة على هذا الصعيد، وأن الرأي المطلق هو للأب أو الأخ، بل وفي بعض الأحيان يكون القرار للخال أو العم، والأكثر من ذلك أن يوافق الجميع ولكن ربما تتعثر الأمور عند بروز تحفظ ما على الخاطب طراً

(١) جريدة عكاظ الصادرة بتاريخ الجمعة ١٤/١/١٤٣٣هـ الموافق ٠٩/١٢/٢٠١١م



لدى أحد أقاربها!، هذه الفتاة التي ترى نفسها مهمشة في اتخاذ القرار المرتبط بها وبمستقبلها وحياتها، ألا تتحطم نفسياً وتصبح نهباً للعقد النفسية، ويتتابها الغضب من المحيط الذي تعيش فيه؟! بل الأخطر من ذلك أن تنسب هذه الحالة إلى الدين، الأمر الذي يمكن أن يقود إلى غضب الفتيات على المجتمع برمّته وربما على الدين نفسه.

من الناحية الشرعية هناك ثلاثة أقوال لدى الفقهاء بشأن اتخاذ قرار زواج الفتاة البكر البالغة الرشيدة، نجملها في الآتي:

**الرأي الأول:** أن القرار بيد ولي البنت ويستحب له استئذنها، ويراه بعض فقهاء الشيعة والشافعية والمالكية من السنة.

**الرأي الثاني:** أن القرار بيد الفتاة ويستحب لها أن تستأذن أبائها ويذهب إليه المشهور من علماء الشيعة، ويوافقهم الأحناف من السنة.

**الرأي الثالث:** الاشتراك في القرار بين الولي والفتاة، وهو رأي أغلب فقهاء الشيعة المعاصرين، والحنابلة من أهل السنة.

ينبغي للآباء في جميع الأحوال أن يأخذوا بعين الاعتبار رأي بناتهم، فقد أصبحن يعشن عصراً مختلفاً عن الأزمنة السابقة. ولعل أسوأ ما يمكن أن يحدث أن يتخذ بعض هؤلاء من زواج بناتهم فرصة للضغط على زوجته وعائلته لأغراض آنية ضيقة، وذلك في حالات الخلافات الزوجية أو حدوث الانفصال عن الزوجة، وهذا أمر محرّم وجرم كبير.

ومن ذلك ما يلجأ له بعض الآباء، حسبما نشر من تقارير صحفية، من رفض تزويج بناتهم الموظفات طمعاً في رواتبهن الشهرية، فيتعمد الواحد من هؤلاء وضع العراقيل والعقبات أمام زواج بناته لا لشيء إلا رغبة في الاستفادة من رواتبهن! إن هذا السلوك إجرامي محرم، وللحاكم الشرعي حينها الصلاحية في نزع ولاية أمثال هذا الأب إذا كان متعنناً لأسباب غير مبررة، وهذا ما يقودنا إلى الحديث عن مشكلة أخرى لا تقل تعقيداً، وتكمن في تلكؤ المحاكم الشرعية في الغالب في تطبيق هذا الحكم الشرعي ونزع ولاية أمثال هؤلاء الآباء.

### مبررات الهيمنة العائلية على الفتاة

يمكن الإشارة هنا إلى أن جانباً من تشدد الآباء في أمر تزويج بناتهم ربما يعود لخشيتهم عليهن، وعدم ثقتهم في اختيارهن لزوج المستقبل. فيضع الأب اعتبارات عديدة من قبيل وضع الشاب الخاطب وعائلته أو منطقتة ووظيفته أو ما شابه، وهنا ننصح الآباء بالألا يتشددوا في هذا الأمر، ذلك أننا نعيش اليوم في عصر مختلف، الأمر الذي يتطلب معه إظهار مرونة أكبر، فالبنت اليوم غير البنت بالأمس، فقد باتت البنات أكثر اطلاعاً وأكثر معرفة بخلاف الفتيات في الزمن السابق، اللاتي ربما لا تتجاوز معرفتهن أسوار بيوت آبائهن، لذلك فمن حق البنات في هذا الزمن أن يكون لهن رأيهن فيما يتعلق بمستقبلهن، وخصوصاً في أمر الزواج. وقد أصبحت أخطار التشدد في الموافقة على زواج البنت تشكل تحدياً للأمن الاجتماعي، حيث تحصل حالات الانتحار، أو



الهروب من المنزل، أو قيام علاقات غير مشروعة.

ندرك جيداً أن تشدّد بعض الآباء في تزويج بناتهم ربما يعود إلى خشيتهم من فشل الزواج مستقبلاً.

إن مسألة تحقق الانسجام أو انعدامه في الحياة الزوجية خاضع لظروف وأسباب عديدة، ففي بعض الحالات نجد أن زواج البنت من قريب لها، ربما يكون متديناً وفيه كل الصفات التي تريدها العائلة، لكن مع ذلك سرعان ما تنشب المشاكل بأظفارها في حياتهم الزوجية، في مقابل ذلك وجدنا في بعض الأحيان من تتزوج من شخص بعيد عنها نسباً، وغير متوقع منه إسعادها فإذا به يحصل العكس تماماً.

حقيقة الأمر، ثمة طرق ووسائل لضمان حقوق الفتاة في مقابل احتمال جور الزوج، ومنها أن تشترط في عقد الزواج أن تكون وكيلة عن زوجها في تطليق نفسها متى شاءت، وإذا ما أساء معاملتها، فيمكنها حينئذٍ أن تعمل بهذا الحق.

### تكريم النبي للزهاء رسالة للأباء

قدّم الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام باعتبارها المثال النموذجي للمرأة. تلك المرأة التي توفرت فيها كلّ صفات الكمال. وعلى غرار ذلك ينبغي أن تسعى كلّ امرأة نحو اكتساب الصفات الفاضلة الكريمة. لقد قدمت الصديقة الزهراء عليها السلام أفضل أنموذج للبيت العائلي السعيد المحكوم بأجواء الخير والفضيلة والمحبة، إن على مستوى علاقتها

بأيها ﷺ أو زوجها وأبنائها، هذه العلاقة التي ينبغي أن تقرأ كنموذج لما يجب أن يكون عليه البيت العائلي.

### النموذج القدوة

كما قدمت الصديقة الزهراء ﷺ أفضل أنموذج للتربية الأسرية للأبناء. فقد تربي على يديها الحسنان اللذان قال فيهما النبي ﷺ: «الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ»<sup>(١)</sup>، كما ترعرت على يدها العقيلة زينب وأختها أم كلثوم. وبذلك ينبغي لكل امرأة تريد أن تأخذ مكانها في المجتمع والتاريخ، أن تقدم للمجتمع عطاءً على هذا الطريق.

إن الصديقة الزهراء ﷺ لم تكن حبيسة منزلها، أو منكفئة على نفسها واهتماماتها الأنثوية الخاصة، بل كانت في الطليعة ضمن حركة الرسالة النبوية، منذ نعومة أظفارها، مشاركة في واقعها الاجتماعي العام، كانت مرافقة لأبيها رسول الله ﷺ، في دروب الرسالة وتحمل الأعباء والعناء من المشركين، وكانت تغمره بالحبِّ والحنان، حيث لا يكون معه أحد، فيأتي المشركون ويؤذونه ويلقون على ظهره ورأسه القاذورات وهو ساجد عند البيت الحرام، فتقوم بإماطة الأذى عن ظهر أبيها ورأسه، ولعظيم ما كانت تغمره بعطفها وحنانها، قال عنها ﷺ: «فاطمة أمُّ أبيها»<sup>(٢)</sup>. وخرجت في معركة أحد، لتقف إلى جانب أبيها

(١) سنن الترمذي ج ٤، ص ٤٩٦، حديث ٣٧٦٨.

(٢) أسد الغابة ج ٥، ص ٥٢٠، الاستيعاب ج ٤، ص ٣٨٠.

في أحلك الظروف، لتخطِّ بذلك اسمها في تاريخ الرسالة.

ومثلت السيدة الزهراء عليها السلام القناة الأبرز لنقل تعاليم الدين من النبي صلى الله عليه وآله إلى نساء مجتمعها. فقد كانت تأخذ عن أبيها أسس وتعاليم الإسلام وتنقلها إلى المجتمع النسوي في المدينة المنورة. واستمر الحال بها عليها السلام في الوقوف إلى جانب جبهة الحق بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، بالتزامها الدفاع عن حقِّ بعلمها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما دافعت عن حقِّها في أرض فدك. وهكذا ينبغي أن تكون المرأة، متوفرة على صفات الكمال في ذاتها وشخصيتها، ناجحة في إدارة منزلها وأسرتها، متمثلة الأنموذج في التربية الصالحة، والمشاركة الفعالة في بناء المجتمع وتنميته وتطويره. إن علينا أن نجلي الصورة عن حياتها وسيرتها باعتبارها مدرسة وأنموذجاً للاقتداء، وليست مجرد لوحة فنية للإعجاب، أو حياة معاناة وألم تستدرّ العواطف والدموع.

### دلالات التعظيم النبوي للزهراء

وتظهر النصوص الدينية مدى الاهتمام الذي أولاه النبي صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام. فقد ورد عن عائشة أنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله - كثيراً ما يُقْبَلُ عَرَفَ فَاطِمَةَ»، أي رأسها، وتشير نصوص أخرى إلى أنه صلى الله عليه وآله قبل يدها. وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «فِدَاهَا أَبُوهَا»<sup>(١)</sup>.

روى أبو ثعلبة: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ

(١) بحار الأنوار. ج ٤٣، ص ٨٦.

فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يُنَبِّئُ بِفَاطِمَةَ، ثُمَّ يَأْتِي أَرْوَاجَهُ»<sup>(١)</sup>.

وورد عن عائشة: «كَانَ - رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَثِيرًا مَا يَقْبَلُ عَرَفَ فَاطِمَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وورد عن عليّ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَغْضَبُ لَغَضْبِ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»<sup>(٣)</sup>.

عن عائشة قالت: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ كَلَامًا وَحَدِيثًا مِنْ فَاطِمَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ رَحِبَ بِهَا وَقَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَقَبَلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ»<sup>(٤)</sup>.

وزاد الحاكم في رواية أخرى: «وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَتْ إِلَيْهِ مُسْتَقْبَلَةً وَقَبَلَتْ يَدَهُ» قال حديث صحيح على شرط الشيخين<sup>(٥)</sup>.

وأخرج الحاكم في المستدرک عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال لفاطمة: «فداك أبي وأمي» وقال الحاكم رواة هذا الحديث عن

(١) سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني. المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٢٢٥، حديث ٥٩٥.  
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٥ ص ١٧٤، حديث ٦٨٤٧، ومثله في كنز العمال.

(٣) جلال الدين السيوطي. مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، (بيروت: دار ابن حزم)، حديث ١١٩، ص ١٤٢.

(٤) المستدرک على الصحيحين. ج ٣، ص ١٦٧، حديث ٤٧٣٢.

(٥) المصدر نفسه. ج ٣، ص ١٧٤، حديث ٤٧٥٣.

آخراًهم في الصحيح<sup>(١)</sup>.

وأخرج الترمذي عن جميع بن عمير قال: «دخلت مع عمتي على عائشة فسئلت: أي النساء كانت أحب إلى رسول الله ﷺ قالت: فاطمة، قيل من الرجال؟ قالت: زوجها»<sup>(٢)</sup>.

وروى الحاكم أيضاً: «أن النبي ﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة»<sup>(٣)</sup>.

إنّ هذا التعظيم للسيدة الزهراء إنّما أراد به النبي ﷺ أن يرسل رسالة هامة إلى الأمة. علاوة على تبيين مكانة الزهراء ﷺ وعظمتها أمام أبناء الأمة، جوهرها ضرورة إغداق المحبة والاحترام والحنان على البنات، بالنظر لحاجة الأنثى على وجه خاص لأن تحظى بالاهتمام الكبير ضمن محيطها العاطفي. سيّما في ضوء ما تعاناه كثير من الأسر في عصرنا الراهن من جفاف عاطفي، حيث يتعب الآباء في بناء المنزل المناسب لأسرهم، ويحرصون على توفير جوانب الراحة لهم، ويهتمون بتوفير سبل المواصلات للعائلة، من توفير السائق والمركبة المناسبة، وتوفير المال والغذاء والكساء المناسب، وهذا كله أمر جيّد ومطلوب، غير أنه «لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحَدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانَ»<sup>(٤)</sup>، كما عن نبي

(١) المستدرک علی الصحیحین. ج ٣، ص ١٧٠، حدیث ٤٧٤٠.

(٢) سنن الترمذی. ج ٤، ص ٥٣٩، حدیث ٣٨٧٤.

(٣) المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٦٩، حدیث ٤٧٣٩.

(٤) إنجیل متی ٤: ٤.

الله عيسى ﷺ.

إنَّ المطلب الأهم لدى كلِّ إنسان، أن يشعر بكرامته، ويحظى بمحبة من حوله، واهتمامهم به. ولو قُدِّر أن يحظى الأبناء بكلِّ وسائل الراحة المادية فستكون كلُّها عديمة الجدوى، ولن تشبع حاجاتهم الحقيقية، ولن تسدَّ النقص والفراغ في نفوسهم، إذا ما بخل عليهم الآباء بالعطف والمشاعر الأبوية. ومن الملاحظ كيف يشتدُّ بكاء الطفل الصغير، حتى إذا ما أخذته أمه إلى صدرها، عادت إليه الطمأنينة والهدوء، وسكن إلى عطف أمه ورعايتها. إنَّ هذه الحالة غالبًا ما تلازم الإنسان في أطوار حياته المختلفة، فالإنسان في حاجة ماسَّة لمحبة الآخرين وعطفهم واهتمامهم.

إنَّ المرأة على وجه الإجمال، زوجة كانت أم بنتًا، في أمسِّ الحاجة لإغداق العاطفة والحنان عليها. ويرتكب الآباء خطأ فادحًا، حين يتعاملون مع بناتهم بجفاف، نتيجة الخجل من إظهار مشاعرهم تجاههنَّ، أو استسلامًا لعلبة الأعراف والتقاليد، أو للانشغال عنهنَّ، ما يجعل البنت تعيش فراغًا عاطفيًا كبيرًا. وجدير بالإشارة هنا أنَّ الحاجات العاطفية تختلف في ألوانها ومظاهرها من عصر إلى عصر، ومن زمن إلى آخر، تمامًا كما هو الحال مع المسكن والغذاء والكساء. فكما يوفر الآباء مختلف المستلزمات الأسرية المناسبة لزمنهم الراهن، كذلك الحال مع سبل إظهار العطف والحنان تجاه الأبناء والبنات، الذي ينبغي أن يتناسب مع زمنهم وظروف عصرهم.

## تداعيات الجفاف العاطفي في الأسرة

ويتسبب الجفاف العاطفي داخل الأسرة بمشاكل لا حصر لها، في أوساط البنات والأبناء. حيث ينتج حالة من الكبت النفسي لدى الأبناء، ينعكس سلباً على نفسياتهم الداخلية، وعلى سلوكهم الظاهري على حدٍ سواء، وقد يأخذهم إلى مسارات خطأ، كافتتاح البنات على الغرباء من خارج الأسرة، سيما مع توفر سبل الاتصال ووسائل التواصل الاجتماعي. وواضح أن السبب الأبرز لارتداء كثير من الفتيات على الغرباء هو إبداء الأخيرين مشاعر المحبة والتقدير لهن، سواء كان ذلك نابغاً من مشاعر صادقة أو كاذبة، لوجود كثير من المخادعين الذين يبدون مثل هذه المشاعر لاستدراج بنات الناس، والتلاعب بهن، وانتهاك أعراضهن.

وحرى بالآباء ألا ييخلوا على بناتهم في إبداء المشاعر الإنسانية الدافئة، وأجواء المحبة والاحترام والتقدير لهن داخل المنزل، حتى لا يلجئوهن للبحث خارج المنزل عمّن يغدق عليهن الكلام المعسول ويلبّي حاجتهن العاطفية.

إنّ مردّ هروب الفتيات من منزل العائلة في كثير من الأحيان هو الفراغ العاطفي الناتج عن افتقادهنّ للدفع الأسري. وعلى المستوى المحليّ، ثمة تقارير رسمية تشير إلى هروب ما بين ١٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ فتاة من منازل أسرهنّ في عموم المملكة سنويّاً<sup>(١)</sup>.

(١) جريدة الحياة الصادرة يوم الخميس، ١٦ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٤م.







الفصل الثاني

**الدور العائلي والمسؤولية الاجتماعية**





## بين المسؤولية العائلية والدور الاجتماعي

معظم النساء في مجتمعاتنا يقمن بأدوارهن العائلية المنزلية، من تربية الأبناء وإدارة المنزل وأداء الوظيفة الزوجية، وهو دورٌ إنسانيٌّ عظيم لا يُستهان به.

البعض يُشيد بدور المرأة خارج المنزل فيستهين بدورها العائلي، وكأنَّ هذا الدور لا قيمة له!

وهو رأيٌ مخالف للنصوص والتوجيهات الدينية، التي تؤكد أنَّ للمرأة فيه أجرًا وثوابًا عظيمًا، وعلى الرجل أن يقدر لزوجته قيامها بهذا الدور.

### الحكم الشرعي

من الناحية الشرعية فإنَّ أعمال المنزل ليست واجبة على المرأة، إنّما هي أمور مستحبة، بل يرى الفقهاء أنَّ الإنجاب ليس واجبًا على المرأة، وإنّما هو راجع إلى رضاها ورغبتها، كما أنَّ تربية الأبناء وتنشئتهم ليس واجبًا عليها أيضًا، فهي من واجبات الأب، ويحقُّ

للمرأة أن تطلب الأجرة على إرضاع ولدها، يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٦].

ويقول السيد السيستاني: «لا يستحق الزوج على الزوجة خدمة البيت وحوائجه التي لا تتعلق بالاستمتاع، من الكنس أو الخياطة أو الطبخ أو تنظيف الملابس أو غير ذلك، حتى سقي الماء وتمهيد الفراش، وإن كان يستحب لها أن تقوم بذلك»<sup>(١)</sup>.

هذا الحكم قد لا يعجب الرجال، ويتمنون عدم معرفة النساء به، لكن المرأة لديها دافع وجداني إنساني للقيام بهذا الدور، ولها أجر وثواب كبير عند الله سبحانه وتعالى.

فقد ورد عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ رَفَعَتْ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا شَيْئًا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ تُرِيدُ بِهِ صَلَاحًا، نَظَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهَا، وَمَنْ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ»<sup>(٢)</sup>.

مجرد أن ترفع حاجة في بيت الزوج، ينظر الله إليها ويدفع عنها العذاب يوم القيامة.

وفي رواية أخرى عن رسول الله ﷺ «جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ لِزَوْجِهَا»<sup>(٣)</sup>، وعن علي عليه السلام: «وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) السيد محمد الحسيني السيستاني. منهاج الصالحين. الجزء الثالث. مسألة رقم ٣٤٠.

(٢) الشيخ الصدوق. الأمالي، ص ٤٩٦، حديث ٦٧٨.

(٣) أحمد بن عبد الله بن مهران الأصبهاني. دلائل النبوة، ص ٧٦.

(٤) نهج البلاغة. حكمة: ١٣٦.

ولنا أن نشير إلى فائدة في هذا المقام، وهي أنه حتى مع عدم الوجوب الشرعي لقيام المرأة بالخدمة المنزلية، إلا أن الوازع الإنساني والاجتماعي والشعور بالشراكة مع الزوج في إدارة أمور البيت وتسيير شؤون الأسرة وتربية الأبناء، يحتم عليها اعتبار الخدمة المنزلية بمنزلة العبادة والشرف التي تتشرف به. غير أن الحال بات على خلاف ذلك في بعض المجتمعات، نتيجة ردّ فعل على الاتجاه المحافظ الذي يريد تحجيم المرأة في حدود المنزل، وعزلها عن القيام بأيّ دور اجتماعي أو ثقافي خارجه. وبذلك ظهر اتجاه يحمل نظرة متطرفة يسخر من الخدمة المنزلية عند المرأة، ويزدري اقتصار دور المرأة على دور ربة المنزل. وهذه نظرة خاطئة، حيث تمثل الخدمة المنزلية فضلاً لها، وتجلياً لإنسانيتها، وليست عيباً ولا عاراً ولا هي وظيفة متدنية، وإنما هي من أشرف وأعظم الوظائف التي تقوم بها المرأة، شريطة ألا يكون ذلك تحجيماً لها ولا منعاً لها من ممارسة الأدوار الاجتماعية الأخرى، فالمسألة لا تتعلق بإحلال وظيفة محلّ أخرى، وإنما تتعلق بالتوفيق بالمقدار الممكن، وبما تقتضي الأولويات بين حياتها وظروف عائلتها ومجتمعها.

ومع ضخامة هذا الدور العائلي وأهميته، هل يطلب من المرأة القيام بدور اجتماعي؟ أم يكفيها ما تقوم به من دور عائلي؟

## دور المرأة الاجتماعي

المرأة عضوٌ في المجتمع ويجب أن تكون شريكة في إدارته وتحمل شؤونه، وكونها تقوم بأعمالها المنزلية تفضلاً منها، لا يلغي دورها الاجتماعي؛ لأنّها شريكة الرجل في تحمل المسؤولية، فليس صحيحاً ما قد يتصوره البعض من أنّ المرأة لا دور لها خارج المنزل، وأنّ ذلك خاص بالرجل، فلا مجال للمرأة في إدارة الشأن العام الاجتماعي، هذا تفكيرٌ من وحي العادات والأعراف والحالة الذكورية السائدة في المجتمع، أما من الناحية الشرعية والعقلية فالمرأة شريك الرجل في تحمل المسؤولية الاجتماعية، يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧١].

والأوامر الإلهية والتعاليم الدينية في الدعوة إلى الخير لا تختص بالرجال، كلّ التعاليم والأوامر الدينية الشرعية موجهة للرجل والمرأة إلا ما استثني، وكان خاصاً بالرجل أو المرأة، فالأصل العموم والإطلاق.

وتنقل رواية جميلة عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، قالت: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي (أي أمهليني حتى أسمع)، قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرَّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ، فَقُلْتُ:

إِنِّي مِنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

كما أنّ للمرأة طاقات وكفاءات، لا يصح تجاهلها أو تجميدها. إنّ المجتمعات - خاصة في مرحلة النمو والتقدم - تحتاج إلى كلّ الجهود والطاقات، والمرأة نصف المجتمع، فإذا جمّدنا دورها الاجتماعي فقد خسرنا نصف طاقة المجتمع، من هنا ينبغي أن يكون للمرأة دور اجتماعي، وأن تتحمل مسؤوليتها الاجتماعية.

### المرأة في مجتمعنا والمجتمعات الأخرى

حين نتأمل واقع مجتمعنا نرى أنّ دور المرأة الاجتماعي محدود، رغم أنها حصلت على نصيب وافر من التعليم، وانفتحت أمامها آفاق الوظيفة، وأصبح لها دخل اقتصادي، وتثقت واطّلت على الشأن العام، وبإمكانها أن تقوم بدور كبير في مجتمعها، ونحن نرى في المجتمعات الأخرى كيف أنّ للنساء دورًا متصاعدًا، ليس على مستوى مجتمعاتهنّ فقط، وإنّما على المستوى العالمي.

استمعت إلى تقريرين أخباريين، أحدهما عن مخيم للاجئين السوريين في لبنان، حيث ذهبت امرأة إلى المخيم ضمن منظمة عالمية للإغاثة، وكانت تتحدث عن أوضاع المخيم، وتقرير آخر عن مسلمي الروهنجا الذين طردوا من ديارهم - (ميانمار) - ولجأوا إلى بنغلادش، وكانت هناك امرأة تمثل المنظمة العالمية للإغاثة في مخيماتهم.

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إِبْتِاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، حديث ٤٣٦٩.

## تطوير دور المرأة الاجتماعي

يعتبر دور المرأة في منزلها دورًا إنسانيًا مقدرًا عند الله، مشكورًا من قبل الناس، ويمكن للمرأة أن توفق بين دورها في المنزل والدور الاجتماعي المأمول منها.

ولكن كيف نساعد المرأة حتى توفق بين دورها الاجتماعي والأسري؟

أولاً: على المرأة أن تهتم بتنظيم الوقت ومضاعفة الجهد.

الإنسان - رجلاً كان أو امرأة - إذا نظم وقته، وضاعف جهده، فإنه يستطيع القيام بالمزيد من الأعمال والمسؤوليات.

ونلاحظ بعض الأشخاص يقوم بعدة مهام وأعمال، وهو في كامل طاقته وحيويته، دون أن يتأفف أو يتبرم، والبعض الآخر يشعر بالتعب والإرهاق وضيق الوقت، وهو لا يتحمل سوى مسؤولية واحدة!!

الفرق بينهما هو في تنظيم الوقت، ومضاعفة الجهد، والهمة العالية، فالمرأة حين تنظم وقتها، وتضاعف جهدها، يمكنها أن توفق بين دورها العائلي ومسؤوليتها الاجتماعية.

ثانياً: على الرجل أن يساعد زوجته في الشأن المنزلي والعائلي.

البعض يلقي بشؤون البيت وأعبائه على المرأة، ويتخلى من المسؤولية، بل إن بعض الرجال يرون أن عمل الرجل في البيت



(عيب) غير مناسب لشأنه، وهي ثقافة سائدة في بعض المجتمعات. والحقيقة أنّ الزواج شراكة إنسانية، فينبغي للرجل أن يعين زوجته في القيام بأعباء المنزل، حتى تتاح لها فرصة المشاركة في تحمل المسؤوليات الاجتماعية.

ثالثاً: على المجتمع أن يساعد المرأة في وجود مؤسسات للخدمات الرديفة.

إنّ وجود دور حضانة للأطفال يساعد المرأة للانطلاق في الحياة، والقيام بأدوار متعددة.

وقد رأيت في المراكز الإسلامية في أمريكا وأروبا أقساماً للحضانة، بل حتى بعض المساجد توجد فيها حضانة، تمكن المرأة من دخول المسجد والصلاة وهي مطمئنة على طفلها.





## أخطار التفكك الأسري

هناك ظاهرة خطيرة تهدد وضعنا الاجتماعي والتربوي والأخلاقي، وهي ظاهرة التفكك الأسري، وتفاقم المشاكل العائلية، فالمحاكم باتت تضحّ بالدعاوى المتعلقة بالخلافات الزوجية والمشاكل الأسرية، ولكثرتها بات المصلحون الاجتماعيون المتصدّون لمعالجة هذه المشاكل يبذلون جهوداً مضنية، ويصرفون أوقاتاً طويلة، ناهيك عن تقارير الدوائر الأمنية الجنائية ودور الإيواء وملاحظة الأحداث، التي ترجع الكثير من الانحرافات والجرائم إلى التفكك الأسري.

وتحظى العلاقة الخاصة بين الزوجين بموقعية في منتهى الأهمية عند الشارع المقدس. جاء ذلك في جملة من الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، وجاء في آية أخرى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، وقال تعالى: ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، وقال تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾. وهذا ما يشير إلى الأهمية البالغة للعلاقة الزوجية

الإنسانية الوثيقة، التي لا ينبغي أن تكون عرضة للاضطراب.

غير أن هناك أسباباً عديدة ربما جعلت العلاقة الزوجية عرضة لشتى المشاكل. ومن ذلك ما يمكن اعتباره سبباً عاماً تشترك فيه قطاعات كبيرة من البشر، وهو بروز الحالة الأنانية والشهوانية في النفوس، بأن تكون اهتمامات الأشخاص متمحورة حول ذواتهم ومصالحهم وشهواتهم، وهذا ما يقود حتماً لوقوع التضارب والتنازع وانحسار حالة الوثام والانسجام بين الزوجين. وعلى النقيض من ذلك ستكون العلاقة بينهما، أقلّ تعقيداً وأكثر ميلاً للحل وبكلفة أقلّ، إذا سادت روح الإيثار والتنازل والتفكير في مصلحة الآخر. ولنا أن نتخيل وضع الأسرة حين يطلق الأب العنان لشهواته ورغباته، ويلهث خلفها أين ومتى شاء، حتى لو كان على حساب عواطف زوجته ومشاعرها، واستقرار وتربية الأبناء، فإنّ من المتوقع من هذا الزوج الأناني الإقدام على أيّ قرار، غير عابئ بنتائجه. في مقابل ذلك، الزوج غير الأناني وإن تأقت نفسه لبعض الرغبات، فإنه سيعطل رغبته، ويكبح شهوته واندفاعته، حفاظاً على استقرار بيته ووضع عائلته.

وكذلك الحال مع الزوجة التي تريد الاسترسال مع رغباتها وطلباتها، دون أدنى اعتبار لرضا زوجها أو غضبه، وما إذا ساد التعثر حياتها الأسرية أم الانسجام، ومدى انعكاس ذلك على حياة الأولاد، هذه الحالة الأنانية عند المرأة هي الأخرى ستقود حتماً إلى تفكك الأسرة.

إنَّ مشكلة الأنانية عند الزوجين أو أحدهما تكاد تكون ظاهرة عامة، وقد أشار القرآن الكريم إلى علاج هذه الحالة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، ومضمون ذلك، أن مجرد إقدام الزوجة على اقرار ما يكره زوجها ويتضارب مع مصالحه، لا ينبغي أن يكون مبررًا لاندفاع عكسية من طرفه، وإنما ينبغي التفكير في مختلف الجوانب والمصالح الأخرى، من انعكاس ذلك على الأبناء والوضع الاجتماعي العام، ناهيك عن الوضع الأخروي والوقوف بين يدي الله.

### مع الزهراء في علاقتها الزوجية

إنَّ من الواجب في هذا المقام التأسّي بالسيرة العائلية العطرة بين السيدة الزهراء والإمام علي عليه السلام وأخذ الدروس منها. ومن المعروف أنّ حالة الانسجام والوئام والإيثار المتبادل بينهما كانت في أعلى درجاتها.

وقد وردت نصوص في وصف تلك العلاقة المميزة. حيث ورد عن علي عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة؛ إنّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله - النبي صلى الله عليه وآله - إليه، وإنّها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك

فسألتيه خادماً كيفيك ضرّاً ما أنت فيه من هذا العمل، فذهبت وسألته ذلك فبكى رسول الله ﷺ، وقال: يا فاطمة والذي بعثني بالحق إنّ في المسجد أربعمئة رجل ما لهم طعام ولا ثياب، ثم علّمها التسبيح - (تسبيح فاطمة الزهراء ﷺ) -، وبعد مدة حينما أفاء الله عليه أعطاهما جارية، هي فضة التي بقيت تخدمها حتى وفاتها<sup>(١)</sup>.

وهناك نصوص أخرى وردت كذلك في وصف العلاقة العائلية بين السيدة الزهراء والإمام علي وتشاركهما الخدمة في المنزل. فقد ورد في السيرة أنّ النبي ﷺ دخل ذات يوم بيت علي وفاطمة فوجدهما يشتركان في الطحن بالجاروش، فقال ﷺ: أيكما أعيأ؟ فقال علي: فاطمة، يا رسول الله، فقال لها: قومي يا بنية، فقامت وجلس النبي ﷺ موضعها مع علي فواساه في طحن الحب. ومضمون ذلك أنّ علياً ﷺ كان يتشارك مع السيدة الزهراء في الخدمة المنزلية، وفي ذلك لفظة مهمة إلى الأزواج الذين يترفعون عن المشاركة في الخدمة المنزلية، بل ويعتبرون المشاركة في غسل الصحون أو تنظيف البيت عيباً يناون بأنفسهم عنه، وليتهم علموا أنّ في ذلك ثواباً عظيماً وتربية للنفس وتقديم القدوة للأبناء، حين يروا والديهما يتعاونان في إدارة شؤون المنزل، وهل ثمة تربية أعظم من هذه! كما أنّ في مشاركة النبي ﷺ علياً في طحن الحب، دليل على تلك الروحية التي يتمتع بها ﷺ مع

(١) راجع: محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار. ج ٤٣، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص ٨٢-٨٥.

عظم مقامه ورفعة منزلته. وهذا خلاف ما لدى البعض من الذين حباهم الله وظيفه مرموقة أو منزلة اجتماعية رفيعة، والذين سرعان ما يجدون أنفسهم فوق أن يمارسوا هذه الأدوار.

وورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه رأى النبي ﷺ فاطمة وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: «يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر له على آلائه»<sup>(١)</sup>.

وجاء عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «كان أمير المؤمنين ﷺ يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز»<sup>(٢)</sup>.

هذه العلاقة بين علي وفاطمة وهذا الانسجام بينهما هو الذي جعل كلاً منهما يشيد بالآخر، ويذوب في حبّه واحترامه حتى الرمق الأخير. وقد كانت وصية السيدة فاطمة الزهراء لأمير المؤمنين في آخر لحظات حياتها وصية وجدانية مؤثرة، ينبغي أن نطالعها بعين الاستفادة والافتداء، وجاء فيها أنها قالت ﷺ: «يا ابن عم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني، فقال ﷺ: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبّخك بمخالفتي»<sup>(٣)</sup>، قال

(١) بحار الأنوار. ج ٤٣، ص ٨٦.

(٢) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي، ج ٥، طبعة ١٤٠٥هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٨٦، حديث ١.

(٣) بحار الأنوار. ج ٤٣، ص ١٩١، حديث ٢٠.

علي عليه السلام: «فوالله ما أغضبته، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزّ وجلّ، ولا أغضبته، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان»<sup>(١)</sup>. وهذه من أجلى مظاهر العلاقة الزوجية الحميمة، حيث يعود الرجل إلى منزله مثقلاً بأعباء الحياة وأتاعها، فينظر إلى امرأته فتتكشف عنه الهموم والأحزان.

وكذلك الحال مع المرأة التي تكون متعبة بهموم الحياة ومشاكل البيت، فإذا ما رأت وجه زوجها ابتسمت أمامها الدنيا وامتلاً قلبها من الفرح والسرور. وهذا ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الزوجين.





## انعكاس دخل المرأة على الأسرة والمجتمع

جعل الله تعالى ثروات الكون وخيرات الحياة تحت تصرف البشر، ذكوراً وإناثاً، كما يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الثروات والخيرات مسخرة لبني البشر، وكل إنسان في هذه الحياة يكسب من الثروات بمقدار سعيه وحركته، ذكراً كان أو أنثى، هذه الثروات في الكون ليست خاصة بالذكور والخطاب في القرآن الكريم موجه لبني البشر جميعاً.

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ المرأة تحوز وتمتلك من ثروات الكون والحياة بمقدار كسبها.

في الماضي كانت طبيعة الحياة الاجتماعية تجعل مهمة كسب الثروة وظيفه الرجل، فهو المعني بالكسب، أما المرأة فهي متفرغة لشؤون المنزل و تربية الأبناء، وإذا كانت المرأة في بعض الأحيان تعمل فإن ذلك ضمن عمل أبيها أو زوجها، كالفلاحة وتربية المواشي،

وليس عملاً خاصاً لها، لكن هذا النظام الاجتماعي تغير في العصر الحاضر.

وفي الماضي كانت المرأة معفاة من الكسب والسعي لتحصيل المال، وفي الوقت نفسه معفاة من واجب النفقة على عائلتها، بل حتى الإنفاق على نفسها هو مسؤولية زوجها، كما هو النظام التشريعي في الإسلام، فإن الرجل يجب عليه أن ينفق على عياله، والأولوية لزوجته، فإن وجوب الإنفاق على الوالدين والأولاد مشروط بحاجتهم.

لكن الإنفاق على الزوجة واجب وإن كانت ثرية متمكنة.

ولوفات الإنسان الإنفاق على الوالدين والأولاد لا يكون مطالباً به فيما بعد، أما النفقة على الزوجة فتبقى في ذمته، ولو مات ولم يؤده تخرج من تركته.

أما في هذا العصر فقد تغيرت الظروف، ودخلت المرأة سوق العمل، وأصبحت موظفة، وسيدة أعمال، وأصبح لها دخل يضاهاه دخل الرجل، وفي بعض الحالات قد يكون دخلها أكثر من دخل زوجها.

علمًا بأنه لا تزال الفجوة الاقتصادية متسعة بين الرجال والنساء في العالم، والتقارير الأخير للمنتدى الاقتصادي العالمي يؤكد اتساع هذه الفجوة، مع أن المرأة يفترض أن تشكل نصف الوجود البشري أو أقل من ذلك بقليل، لكن المرأة لا تمتلك مقدار النصف من الثروات

الاقتصادية الموجودة في العالم، بل الأقل من ذلك بكثير! يقول تقرير  
المتدى الاقتصادي إن الفجوة الاقتصادية بين النساء والرجال تحتاج  
إلى أكثر من قرنين ونصف للقضاء عليها.

وعلى مستوى العالم نحتاج إلى سبعين عاماً لكي تصل الحالة  
الاقتصادية بين الرجل والمرأة إلى حد المساواة.

أما بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فتحتاج إلى مئة وأربعين  
عاماً.

في كثير من بلدان العالم لا يزال معدل أجور النساء العاملات يقل  
بنسبة (٢٣٪) عن أجور الرجال العاملين في المجال نفسه وفي الرتبة  
نفسها<sup>(١)</sup>!

فالتقرير يؤكد عدم وجود مساواة، ولكن بشكل عام أصبح للمرأة  
دخل اقتصادي، لم تعد كما كانت حبيسة الدار والمهام المنزلية  
العائلية، وإنما أصبحت جزءاً من التنمية وسوق العمل.

وفي المملكة العربية السعودية بدأت سياسة تمكين المرأة، التي  
أتاحت فرصاً أكبر للعمل أمام المرأة، مما يعني توفر مصادر دخل  
جيدة لها.

حسناً هذا الدخل الذي يرد للمرأة وهي ليست مسؤولة عن الإنفاق،  
إلا عند حاجة والديها أو أولادها.

(١) <https://www.un.org/ar/observances/equal-pay-day>

ماذا تصنع المرأة بهذا الدخل، وكيف تتصرف في دخلها المالي؟  
بعض النساء قد تصرف معظم دخلها في الكماليات والاستهلاك  
غير الضروري! فهي لا تشعر بأن عليها التزامات، كما الرجل، وربما  
يقودها ذلك إلى المبالغة في التسوق، وتنقل الصحف ووسائل  
الإعلام إحصائيات عن إقبال النساء على التسوق، كما أن الشركات  
المنتجة لبعض الموادّ تراهن في نجاحها على تسوّق المرأة، وهناك  
شركات تخصصت في الدعاية والإعلان، مهمتها تشجيع المستهلك  
على الشراء عبر المبالغة في التشويق.

ومن الوسائل المعتمدة لتشويق المرأة تجديد (الموضة) ففي كل  
موسم تخرج الشركات أشكالاً جديدة من (الموديلات) للملابس  
والحقائب والأحذية، والهواتف النقالة، وتصل قيمة بعض أنواع  
الحقائب إلى (٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ ريال)!

ومع دخول المرأة عالم قيادة السيارة فُتح مجال جديد لصرف  
المال، حتى أن إحدى النساء تنقل عن صديقتها أنها تريد أن تجدد  
سيارتها بعد مضي عدة شهور من شرائها، لأنها ملت منها، وتريد  
(موديلاً) جديداً!

ويحدث مثل ذلك من قبل بعض الرجال.

هنا لا بدّ من التأكيد على عدة نقاط:

النقطة الأولى: من حق المرأة أن تتصرف في دخلها كما تشاء، ولا



يحق لأحد أن يحد من حريتها، فالقاعدة الشرعية أن (الناس مسلطون على أموالهم) فهي تمتلك حرية التصرف في أموالها كيف شاءت. من حقها أن ترفه عن نفسها وأن تسعد حياتها.

**النقطة الثانية:** على المرأة أن تعلم أن سعادتها لا تنفصل عن سعادة أسرتها، وعليها أن تفكر في إسعاد أسرتها، وأن تكون خير عون لزوجها ولعائلتها للارتقاء بحياتهم، صحيح أن الشرع لا يلزمها بذلك، فالنفقة ليست واجبة عليها، لكنها جزء من هذه الأسرة، ولا ينبغي أن تسمح لنفسها بأن تنفق دخلها على كماليات زائدة عن الحاجة، بينما هناك احتياجات أساسية في منزلها وفيما يرتبط بحياة أبنائها، أو حين يكون زوجها يعاني من الديون!

على المرأة أن تقوم بمهمة الشراكة مع زوجها لإسعاد العائلة وتحسين ظروفها في مختلف المجالات.

**النقطة الثالثة:** يُتوقع من المرأة أن تتحمل المسؤولية تجاه مجتمعها، فهي جزء من المجتمع الذي تنتمي إليه، وينبغي أن تفكر في خدمة مجتمعها، وأن تصرف جزءاً من دخلها في مساعدة الفقراء والمحتاجين، ودعم الجمعيات الخيرية والبرامج الثقافية والدينية وكل ما يخدم تقدم المجتمع.





## الفصل الثالث

# التحدي الأخلاقي والأمن الاجتماعي







## الانضباط في العلاقة بين الجنسين

مسألة العلاقة والتعامل بين الرجال والنساء، لا تزال محل إشكال اجتماعي وأخلاقي في المجتمعات البشرية. فالمجتمع البشري ينقسم إلى هذين الشطرين: رجل وامرأة، وكل منهما يكمل الآخر، ولا تستقيم الحياة البشرية بأحدهما دون الآخر.

وممكن الإشكال هو في وجود حالة الانجذاب الجنسي من كل من الطرفين نحو الآخر، هذا الانجذاب العاطفي الغريزي، أو جده الله تعالى لمنفعة هي التناسل البشري، وإقامة الحياة العائلية الأسرية. ولحكمة هي الامتحان والابتلاء للإنسان في هذه الحياة. فلا يصبح الإنسان مكلفاً، ولا يدخل قاعة الامتحان، إلا حين تستيقظ عنده هذه الغريزة الجنسية، ذلك أن البلوغ هو شرط التكليف في الفقه الإسلامي.

في كل المجتمعات، هناك إطار للعلاقات المشروعة بين الرجل والمرأة، يتمثل في الزواج، وإقامة البيت العائلي، بناءً على تشريعات دينية، أو تقنينات وضعية، أو أعراف وتقاليد. فليس هناك مجتمع من

المجتمعات إلا ولديه نظام وإطار لهذه العلاقة، وكما ورد عن رسول الله ﷺ: «لكل قوم نكاح»<sup>(١)</sup>.

### بين التشدد والابتدال

والسؤال: ماذا عن العلاقة بين الجنسين خارج هذا الإطار الزوجي؟ هنا مكمّن المشكلة، التي عانت ولا تزال تعاني منها المجتمعات البشرية، فهناك من تطرف ذات اليمين، أو ذات الشمال.

هناك من رأى أن التعاطي والتعامل بين الرجال والنساء، خارج الإطار الزوجي المشروع، مثار خطر الوقوع في الانحراف والفساد، وأن الحل إقامة جدار فاصل بين النساء والرجال، وكأن الرجال يعيشون في كوكب، والنساء في كوكب آخر، والتلاقي بينهما يكون ضمن حدود مقيدة مقننة. هذه حالة من المبالغة نشهدها في بعض المجتمعات الدينية، حيث تدعو أو ساط إلى شدة الفصل بين الطرفين، وتُنقل بعض النصوص، والآراء المشرّعة لهذا التوجّه، كالرأي الذي يقول بأن صوت المرأة عورة، ولا ينبغي أن يسمع رجل صوت امرأة أجنبية، ولا ينبغي للمرأة أن تُسوع صوتها لرجل أجنبي، وهذا لا أساس له في الدين. نعم، إذا كان في الأمر إثارة للعاطفة والغريزة، فهذا عنوان ثانوي. أما في الأصل، فليس هناك مثل هذا الحكم، فالقرآن ينقل لنا مشاهد للتخاطب بين الرجال والنساء الأجنبيات، كما تتضمن السيرة

(١) محمد بن الحسن الطوسي. تهذيب الأحكام، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ، (النجف الأشرف: دار الكتب الإسلامية). ج٧، ص٤٧٢.

النبوية الشريفة، وسيرة الأئمة والصحابة، الكثير من هذه الصور. وتتناقل بعض الأوساط رواية متداولة عن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء ؑ أنها قالت: «خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال»<sup>(١)</sup>. وهذه الرواية مرسلة<sup>(٢)</sup>، ليس لها سند يقبلها العلماء من خلاله.

وقد تُبرّر هذه المبالغة في الفصل بين الرجال والنساء بقاعدة سدّ الذرائع، تلافياً للوقوع في المعاصي. وفي هذا السياق كان منع المرأة من قيادة السيارة مثلاً، إلا أن هذه المبالغة فيها مضاعفات ومشاكل أخرى، وخاصة في الزمن الذي نعيش فيه، إذ إن ذلك يعني الحيف على دور المرأة وحقوقها، كما أنها إذا أخذت عنواناً شرعياً، فإنها تكون تشريعاً، ولا يحقّ لأحد أن يُشرّع شيئاً لم يشرعه الله.

فليس هناك عنوان شرعي يحرم الاختلاط في الكتاب والسنة. بل نجد في مناسك الحج، وفي سيرة المتشرعة من المسلمين، مظاهر من الاختلاط الطبيعي، بين النساء والرجال، كما في المساجد والأسواق.

هذه الحالة من التشدد توّد أن تسجن المرأة في البيت، وأن لا ترى الرجل ولا الرجل يراها، ولا يسمع أجنبي صوتها، وكما قال بعضهم: للمرأة خروجان مشروعان من البيت، الخروج الأول من بيت أبيها إلى بيت بعلمها، عند زواجها، والخروج الثاني من بيت زوجها إلى القبر!

(١) الحسن بن الفضل الطبرسي. مكارم الأخلاق. ص ٢٢٣.

(٢) مباني العروة الوثقى. السيد الخوئي، كتاب النكاح، ج ١، ص ٥٣.

في المقابل هناك تطرف ذات الشمال، يتمثل في الابتذال والميوعة، والاختلاط غير المحتشم، والمتاجرة بأنوثة المرأة ومفاتها. وهي المشكلة التي تعيشها المجتمعات الغربية، وهي سبب لويلات ومصائب في المجال الاجتماعي والأخلاقي والأمني والصحي، فقد أصبحت هذه المجتمعات تعاني من تفكك أسري، وخواء روحي، وتصاعدت فيها أرقام جرائم التحرش الجنسي، والاعتصاب والخطف، وتفشّت الأمراض الخطيرة كالأيدز.

### القانون والانضباط

وقد يرى البعض: إن وجود قوانين وأنظمة رادعة، يمكنه أن يحدّ من سلبيات وأخطار حالة الانفتاح بين الرجال والنساء، إلا أن تجربة المجتمعات الغربية، تعطي أفضل برهان على عجز الردع القانوني، عن تحقيق الأمن الاجتماعي، في ظلّ حالة الابتذال والتبرج.

والإسلام كدين يعتمد القيم والمبادئ، ويعترف بواقعية حياة البشر، وتأثير الغرائز والشهوات في سلوكهم. لا يقبل الانفتاح غير المنضبط بين الرجال والنساء، كما لم يأمر بالفصل بين الرجال والنساء، ولا وضع ضوابط على حساب مصلحة المرأة، ومشاركتها في الحياة العامة، وإنما ركز الإسلام على أمرين:

### الأول: تعزيز التقوى في نفس الإنسان

فحينما يتعامل الرجل مع المرأة والمرأة مع الرجل، ينبغي أن يعيشا



حالة التقوى في داخل نفسيهما وقلبيهما، على أساس أن الله تعالى مطلع على الإنسان ويراقب حركاته، وأن هناك حساباً وعقاباً يوم القيامة، وأن عليه الورع عن الحرام، ومراعاة حدود الله.

### الثاني: صنع أجواء الاحتشام

فليس هناك مانع من التلاقي والتعامل بين الرجال والنساء، إذا كانت هناك أجواء احتشام، بالالتزام بالحجاب الشرعي، والضوابط الشرعية، التي توفر أجواء الالتزام والعفة، وحينئذ لا مشكلة في الأمر. إضافة لذلك، فإن الإسلام يدفع باتجاه وجود تقنيات وتنظيمات، تضع حداً للانجرار خلف الرغبات والشهوات، فإن المجتمع المسلم عليه أن يحرص على توفير أجواء الاحتشام، وإلا فإن التفريط في ذلك، يعني فتح المجال للابتذال والميوعة، والإثارات الجنسية، وستكون النتائج وخيمة.

### النظرة الحرام

ومن أهم المفردات التي يركّز عليها الإسلام في هذا المجال، مسألة النظرة المريبة، بأن ينظر الرجل للمرأة، أو المرأة للرجل، نظرة تنطلق من الانجذاب العاطفي. فقد جاء الأمر الإلهي للرجل، والمرأة على حد سواء، بغض البصر، يقول تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ

زَيَّنَتْهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿[سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١]. والآية الكريمة لم تأمر بإغماض البصر، وإنما أمرت بغض البصر، وهذا يعني: التقليل من النظر، بالألّا يملأ الرجل عينيه بالنظر للمرأة، وكذلك المرأة؛ لأن هذه النظرة المريية مفتاح للوقوع في الانحراف. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ملأ عينيه من حرام ملأ الله عينه يوم القيامة من النار إلا أن يتوب ويرجع»<sup>(١)</sup>. لأن النظرة بهذا الشكل، تثير غريزة الإنسان وعاطفته، وتخلق حالة من الانجذاب.

على الإنسان ألا يسير في هذا الطريق، من أول خطوة؛ لأنه سيصعب عليه، في كثير من الأحيان، أن يضع الحدّ لباقي الخطوات، والوقاية خير من العلاج. وعنه ﷺ أنه قال: «اشتد غضب الله عزّ وجلّ على امرأة ذات بعل ملأت عينها من غير زوجها أو غير محرم منها»<sup>(٢)</sup>. وعنه ﷺ: «ما من مسلم ينظر امرأة أول رمقة ثم يغضّ بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه»<sup>(٣)</sup>.

وتشير النصوص: أن من أسباب فقدان حلاوة العبادة والإيمان، هي النظرات المحرّمة، ومن أراد ألا يُحرم من لذة العبادة وحلاوة الإيمان، فعليه أن يتجنب النظرات المحرّمة.

جاء في الحديث عنه ﷺ: «إِيَّاكَ وَالنَّظَرَ بَعْدَ النَّظَرَةِ، فَإِنَّ الْأُولَى لَكَ

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة، ج ٢٠، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ،

(بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص ١٩٦، حديث ٢٥٤١٢.

(٢) بحار الأنوار. ج ٧٣، ص ٣٦٦.

(٣) كنز العمال. ج ٥، ص ٣٢٧، حديث ١٣٠٥٩.

والثانية عليك»<sup>(١)</sup>. ففوق بصرك على امرأة مرّت بجانبك أمرٌ طبيعي، وليس المطلوب منك أن تغمض عينيك، إلا أن عليك ألاّ تعاود النظر مرة أخرى، فهي الخطوة الأولى باتجاه الانحراف، الذي يبدأ من إثارة المشاعر داخل النفس، وقد تترتب عليه خطوات خارجية.

يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «الْعَيْنُ رَائِدُ الْفِتَنِ»<sup>(٢)</sup>، ويقول عليه السلام: «العيون مصائد الشيطان»<sup>(٣)</sup>، ويقول عليه السلام: «كم من نظرة جلبت حسرة»<sup>(٤)</sup>، ويقول عليه السلام: «من غَضَّ طرفه أراح قلبه»<sup>(٥)</sup>؛ لأن الإنسان إذا أطلق العنان لنظره، فسيقع تحت ضغط شهواته وغرائزه، فإن صبر يكون قد قسر نفسه، وإن استجاب للرغبة انحرف، والأفضل أن يمنع نفسه من بداية الطريق.

فعلينا أن نوَفِّر أجواء الاحتشام، وأن نربي أبنائنا وبناتنا على سلوكيات العفة والاحتشام، ابتداءً من المنزل، فمسؤوليتنا أن نحصّن أجواءنا الأخلاقية، حتى لا نصاب بما تصاب به المجتمعات الأخرى من الفضائح والمشاكل.

(١) كنز العمال. ج ٥، ص ٣٢٩، حديث ١٣٠٧٢.

(٢) عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدى، غرر الحكم ودرر الكلم، الطبعة الأولى، (قم: مكتب الإعلام الإسلامي)، حكمة ٦٦٧.

(٣) مستدرک الوسائل. ج ١٤، ص ٢٧١، حديث ١٦٦٨٧.

(٤) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص ٢٣٨.

(٥) آقا حسين البروجردي. جامع أحاديث الشيعة. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، قم المقدسة.

ج ٢٠، ص ٢٨٢.









## الرهان على وعي المرأة وقوة شخصيتها

تحرص الجهات الدينية والمجتمعات المحافظة - بشكل عام - على رعاية ضوابط العفة والاحتشام في العلاقة بين الجنسين، ذلك لأن الانفلات في العلاقات بين الجنسين يسبب فساداً أخلاقياً، يهدد استقرار المجتمع وأمنه الأخلاقي.

هناك غريزة شهوانية عارمة في أعماق نفس الإنسان، وإذا فسح لها المجال دون حدود وضوابط، فإنها تهدد استقرار المجتمع، وتؤثر على كيان الأسرة والعائلة.

وما يحدث في المجتمعات المعاصرة مما تذكره الإحصائيات من حوادث اغتصاب، وتحرش وتجارة بالبشر للدعارة، وظاهرة تفكك وضعف بنية الأسرة، يؤكد هذه الحقيقة.

ويكفي أن تتابع أخبار الفضائح الجنسية في أوساط النخب السياسية والاقتصادية والفنية على مستوى العالم، لترى خطورة ذلك على الأمن الأخلاقي للمجتمعات البشرية.

تجد رؤساء ومسؤولين على أعلى المستويات في مختلف دول العالم تلاحقهم فضائح التحرش الجنسي!  
فهي مشكلة حقيقية.

لهذا تعمل الجهات الدينية والمجتمعات المحافظة على تلافي هذه المشكلة بوسائل مختلفة، وعادة ما يتم التركيز على أسهل وسيلة، وهي السعي للفصل بين الجنسين، بل إن بعض الجهات المتشددة ترى ضرورة الفصل التام بين الرجال والنساء في كل المحافل والدوائر، فلكي نرفع درجة الالتزام الأخلاقي - من وجهة نظرهم - علينا أن نحقق أكبر قدر من الفصل بين الجنسين، وذلك بتقييد حركة المرأة، فلا ترى الرجل ولا يراها، بل ولا يسمع صوتها، فـ(صوت المرأة عورة)! وقد قرأت كلمة لأحد العلماء، يشيد فيها بحياء المرأة، ومما جاء فيها:

«إن المرأة التي تربت على الإسلام في المجتمعات المحافظة، تتسم حياتها بالحياء، وعندما يخاطبها الرجل لا تكاد تسمع كلامها حياءً أن ترفع صوتها، بل ربما بعضهن تتكلم وهي ترتجف، وبعضهن لا تستطيع أن تنطق، وبعضهن يعلوها نوع من الرخضاء، واحمرار الوجه، وغير ذلك من الأحوال التي تكون عند المرأة عندما يكلمها الرجل»<sup>(١)</sup>.

(١) جريدة المسلمون الصادرة في لندن بتاريخ ٢٥ محرم ١٤١٦ هـ. عدد [٥٤٢].

ولسنا الآن في وارد مناقشة هذه الروايات أو الآراء والمقولات، فقد تجاوزها الزمن، وأصبح وجود المرأة إلى جانب الرجل أمراً واقعاً، والرهان على الفصل بين الرجال والنساء لا معنى لمناقشته فضلاً عن تطبيقه، حيث يجد الرجل المرأة أمامه في كل مكان. والتحدي الذي يفرض نفسه على المجتمعات المتدينة هو: مدى رعاية ضوابط العفة والاحتشام في ظل هذا الاختلاط والتواصل.

### سيرة المسلمين في العهود الأولى

إننا حين نتأمل النصوص الدينية وسيرة المسلمين الأوائل في العهد النبوي وعهد الصحابة وأئمة أهل البيت عليهم السلام، لا نرى أن الرهان في تحقيق العفة والاحتشام كان على أساس الفصل بين الجنسين، ففي المجتمع الإسلامي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت مشاركة المرأة واضحة مكثفة في المجالات المختلفة، حيث تحضر المسجد، وتخرج إلى المعارك، وتلتقي الرجال في الكثير من المشاهد والموارد، مع الحفاظ على أحكام الستر وأجواء العفاف،

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال أبي: قال علي عليه السلام: «كنّ النساء يصلين مع النبي صلى الله عليه وآله وكنّ يؤمرن أن لا يرفعن رؤوسهن قبل الرجال لضيق الأزر»<sup>(١)</sup>.

وفي صحيح مسلم عن فاطمة بنت قيس: سمعت نداء المنادي،

(١) وسائل الشيعة. حديث ٨٥٨.

منادي رسول الله ينادي: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم<sup>(١)</sup>. ونجد أن مناسك الحج تفرض حالة طبيعية من الاختلاط والتداخل بين النساء والرجال، كما في الطواف والسعي ورمي الجمار وسائر المناسك والأعمال.

### الرهان الواقعي

فالرهان ليس على الفصل أو إبعاد النساء عن الساحة وتهميشهن، وإنما يمكننا القول: إن الرهان يرتكز على أمرين:

#### أولاً: الوعي والتربية الأخلاقية للجنسين

كثيراً ما يتوجه الحديث للنساء، أن يراعين العفة والاحتشام، وكأن المشكلة محصورة في المرأة، وعليها أن تحتجب في بيتها!

بينما نجد القرآن الكريم يتوجه للجنسين معاً، ويبدأ بالرجال أولاً، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ \* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴿[سورة النور: الآية ٣٠-٣١].

والمؤسف أن في مجتمعاتنا نوعاً من الإهمال والتجاهل لحق المرأة في الوعي والمعرفة الدينية، فالحوزات الدينية لا تبذل جهداً

(١) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (الرياض: دار المغني)، حديث ٢٩٤٢.

لتخريج العالمات، في مقابل الجهود الكبيرة لتخريج الفقهاء والعلماء، وكذلك في الأنشطة الدينية المختلفة، بل حتى في صلاة الجماعة وما يتوفر فيها من الوعظ و الإرشاد والتوجيه وكأنها مخصصة للرجال، فالنساء في بعض المجتمعات لا يحضرن صلاة الجماعة لوجود رأي بكرةة حضورهن المساجد، أو لعدم وجود أعراف وتقاليد تشجع حضور المرأة صلاة الجماعة!

والأنشطة التثقيفية الدينية في أوساط النساء قياساً إلى الرجال لا تزال محدودة، وعلى سبيل المثال في مجال الخطابة تجد عدداً لا بأس به من الخطباء المتألقين، لكن العدد قليل جداً على صعيد النساء! لقد دخلت المرأة الحياة العامة من أوسع أبوابها، وإذا لم تتوفر على الوعي والمعرفة، كيف نطلب منها أن تكون مستقيمة السلوك، قويمة الفكر والتوجه!!

**ثانياً: المراهنة على قوة شخصية المرأة وتعزيز ثقتها بنفسها**

إذا كانت المرأة قوية الشخصية مع وعيها ومعرفتها الدينية تكون أعصى على الاستجابة للإغراءات، وأكثر حصانة من الوقوع في المزالق.

إن تحصين شخصية المرأة يكون بتعزيز ثقتها بنفسها، وإحاطتها بمشاعر الاحترام والمحبة من قبل العائلة.

فالمرأة إذا كانت تعامل بدونية واستضعاف داخل عائلتها، وإذا لم

يتوفر لها الإشباع العاطفي في الأسرة، وعاشت أجواء من الجفاف العاطفي، فإنها قد تبحث عن مكانة لها في أنظار وقلوب آخرين خارج البيت.

وهو سبب كثير من حالات الانحراف والسقوط الذي تقع فيه بعض النساء والفتيات.

وتشير الإحصاءات إلى أن بعض البنات يضطرون إلى الهروب من منازل عوائلهن بسبب القسوة والشدة، وبعض الزوجات تعانين حالات العنف الأسري والمنزلي!!

فينبغي أن تعيش المرأة الحب والاحترام في عائلتها حتى يكون ذلك سبباً لتحسينها وقوة شخصيتها في الساحة العامة.

من هنا نجد النصوص الدينية تؤكد على إحاطة المرأة بالعطف والرعاية والاحترام، لتشعر بمكانتها داخل البيت حتى لا تقع فريسة لمن يبدون لها العواطف والمشاعر الكاذبة الوهمية.

ورد عن رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر ﷺ: «مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلَّا كَرِيمٌ، وَلَا أَهَانَهُنَّ إِلَّا لَيْئِمٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٥٥٥، حديث ٤٩٠٨.

(٢) كنز العمال، ج١٦، ص٣٧١، حديث ٤٤٩٤٣.

وعنه عليه السلام: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»<sup>(١)</sup>.

بل إن النصوص الدينية تؤكد أن واجب الرجل لا يقتصر على الإنفاق المادي، وإنما ينبغي الالتفات إلى الجوانب العاطفية من مشاعر الود والاحترام.

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قول الرجل للمرأة إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي: الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهوأها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها وتوسعته عليها»<sup>(٣)</sup>.

بل حتى وإن أخطأت في حق زوجها، ينبغي على الزوج أن يغفر لها ويسامحها.

عن إسحاق بن عمال قال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا الَّذِي إِذَا فَعَلَهُ كَانَ مُحْسِنًا؟ قَالَ: «يُشْبِعُهَا وَيَكْسُوهَا، وَإِنْ جَهِلَتْ غَفَرَ لَهَا».

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ٢٠، ص ٢٤٦، حديث ٧٧١.

(٢) الكافي. ج ٥، ص ٥٦٩.

(٣) الحسن بن علي بن شعبة الحراني. تحف العقول، الطبعة الخامسة ١٣٩٤ هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي). ص ٣٢٣.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «كَانَتْ امْرَأَةٌ عِنْدَ أَبِي عليه السلام تُؤْذِيهِ، فَيَغْفِرُ لَهَا»<sup>(١)</sup>.  
فليس من الرجولة أن يستعرض الرجل قوته أمام زوجته أو يمارس  
بطشه وسلطته!

إن البطولة الحقة هي في العطف و الحنان و توفير أجواء المودة  
والامتنان، وهكذا الحال في التعامل مع البنات، لدينا روايات تشير  
إلى ضرورة مراعاة الجانب العاطفي عند الفتيات، وتقديمهن على  
الأولاد لأنهن في حاجة أكثر إلى إبداء الحنان والعطف، وفي كتاب  
وسائل الشيعة باب كامل بعنوان (استحباب شراء التحف للعيال  
والابتداء بالإناث).

جاء فيه عن النبي صلى الله عليه وآله: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى  
عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور،  
فإن من فرح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي. ج ٥، ص ٥١٠، حديث ١.

(٢) وسائل الشيعة. ج ١٥، ص ٢٢٧، حديث ١.





## الغيرة حصانة أخلاقية

تطور الحياة الاجتماعية قد يثير تحدّيات أمام القيم الدينية والأخلاقية.

ولا يمكن إيقاف تطور الحياة، كما لا يصح التنازل عن القيم ذات المنشأ الديني والأخلاقي.

والمعالجة تكمن في استيعاب تلك التحديات، عن طريق تحديث فهم القيم وإعادة تموضعها في السلوك الاجتماعي.

فقد نكتشف أنّ بعض القيم لا تمتلك سمة الثبات والاستمرار، وإنما هي صالحة لظروف اجتماعية محددة، أو أنّ بعضها من سنخ العادات والتقاليد الاجتماعية، وليس ضمن القيم الدينية والأخلاقية الثابتة.

وفي مجال القيم الدينية والاجتماعية الثابتة قد نحتاج إلى تطوير وتغيير في صيغ الالتزام أو التطبيق، يناسب التكيف مع تطورات الحياة.

## العلاقات بين الجنسين

في عصرنا الحاضر فرضت تطورات الحياة على مجتمعاتنا حال الانفتاح والتداخل في العلاقات بين الجنسين الرجال والنساء، بعد أن كان السائد حال الانفصال والتباعد في الحياة العامة.

بل في بعض الأوساط كانت هناك مبالغة وتشدد على هذا الصعيد، حتى لا تكاد ترى المرأة خارج منزلها، انطلاقاً من آراء دينية أو تقاليد اجتماعية، فالسيد اليزدي (ت: ١٣٣٧هـ) يذكر في العروة الوثقى المسألة التالية: يستحبّ حبس المرأة في البيت، فلا تخرج إلاّ لضرورة، ولا يدخل عليها أحد من الرجال<sup>(١)</sup>.

أما الآن فقد أصبح حضور المرأة واقعاً مشهوداً في مختلف ميادين الحياة، فلا تكاد تجد مجالاً لا يلتقي فيه أفراد الجنسين، في التعليم والعمل والسوق والمستشفى وفي كلّ المجالات والساحات. وهنا يكمن التحديّ في مجال الالتزام ببعض الأحكام الدينية والمبادئ الأخلاقية.

ومنها مسألة الغيرة وهي نزعة فطرية وقيمة أخلاقية.

## الغيرة وأجواء الانفتاح

وقد عرفوا الغيرة بأنها: مشتقة من تغيير القلب، وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص. وأبرز تجلياتها خصوصية

(١) العروة الوثقى. كتاب النكاح، مسألة ١٥.

العلاقة العاطفية، حيث يرفض الرجل تطفل أي شخص آخر على ساحة العلاقة العاطفية مع زوجه وقربياته. كما يزعم المرأة وجود أي علاقة عاطفية لزوجها بامرأة أخرى.

وكانت الأجواء الاجتماعية مساعدة على حماية هذه الخصوصية في الظروف السابقة، حيث التباعد والانفصال في العلاقة بين الجنسين. أما الآن فإنّ حال الانفتاح والتداخل في العلاقات بين الجنسين خلق أجواءً أخرى مختلفة، قد تحصل منها علاقات عاطفية تثير الغيرة عند الرجل والمرأة.

وحصلت على أثر ذلك مشكلات أدت إلى خراب بيوت، وانهدام كيانات زوجية، حين يطلع أحد الزوجين على علاقة عاطفية لزوجهم بغيره، أو حتى بظن وجود مثل تلك العلاقة. وفي بعض المجتمعات تحصل على أثر ذلك جرائم قتل تحت عنوان الدفاع عن شرف العائلة، ويطلق عليها (جرائم الشرف).

### الغيرة قيمة أخلاقية

أصل الغيرة على العرض والشرف أمر مطلوب، فالدين لا يمانع العلاقة العادية الطبيعية بين الرجل والمرأة الأجنيين، على مستوى التحادث أو الزمالة والمشاركة في أداء الأعمال والمهام، لكنه يرفض العلاقات العاطفية بين الجنسين خارج الإطار الشرعي، وهي تشوش على خصوصية العلاقات الزوجية وتربكها، وتسبب اضطرابها وانهيارها.

فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
فَالْغَيْرَةُ فِي الرَّبِيبَةِ»<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ: «إِنَّ الْغَيْرَةَ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عِبَادِهِ الْغُيُورَ»<sup>(٣)</sup>.

وورد عن علي رضي الله عنه أنه قال: «مَنْ لَا يَغَارُ فَإِنَّهُ مَنكُوسُ الْقَلْبِ»<sup>(٤)</sup>.

ويقول الشاعر القروي:

إني كريم أحب المال مشتركا

لكن غيور أحب الحسن محتكرا

### الغيرة المبعوضة

الغيرة كأي صفة من الصفات الحسنة مطلوبة في وضعها الطبيعي،  
وضمن حدود الاعتدال، إما إذا تجاوزت الحد فإنها تنقلب إلى صفة  
المساوي، وتصبح مرضا يفتك بسلامة علاقات الإنسان مع محيطه  
الأسري والاجتماعي.

لذلك لا بُدَّ من الابتعاد عن سوء الظنّ وعدم ممارسة التجسس،

(١) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح النسائي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، (الرياض):

مكتب التربية العربي لدول الخليج)، حديث ٢٥٥٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه. ج ٣، ص ٤٤٤، حديث ٤٥٤١.

(٣) علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٤،

طبعة ١٤١٤هـ، (القاهرة: مكتبة القدسي)، حديث ٧٧٢٦، ص ٣٢٧.

(٤) وسائل الشيعة. ج ٢٠، ص ٢٣٧.

وعدم المبالغة في التحسس من أي علاقة طبيعية، خاصة ضمن ما نعيش من أجواء مفتوحة فرضت التداخل والتواصل بين الجنسين. وحينما يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٢]، فإن النهي عن سوء الظن والتجسس يشمل مجال العلاقات الزوجية والأسرية.

وقد نصت إجابات الفقهاء على سؤال وجه إليهم بخصوص تفتيش هاتف (موبايل) الزوج أو الزوجة، بأنه: غير جائز وأن حرمة التجسس سارية المفعول بين الزوجين أيضًا.

كما جرم القانون السعودي الزوج والزوجة في حال التجسس على هاتف الآخر بطريقة غير مشروعة ضمن لائحة الجرائم المعلوماتية.

وبشكل واضح فإن رسول الله ﷺ يؤكد أن الغيرة خارج حدودها الطبيعية يبغضها الله تعالى، يقول ﷺ: «وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيْبَةٍ»<sup>(١)</sup>.

إن المبالغة في الغيرة والخروج بها عن الحد الطبيعي، يحولها عن مسارها الإيجابي، لتصبح ذات أثر سلبي تدفع نحو الانحراف بدل أن تحصن منه، وإلى ذلك يشير ما جاء في وصايا الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالتَّغَايِرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْغَيْرَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو

(١) صحيح النسائي، حديث ٢٣٩٨.

الصَّحِيحَةَ مِنْهُنَّ إِلَى السَّقَمِ»<sup>(١)</sup>.

ويشير تقرير جمعية المودة للتنمية الأسرية الخيرية بمنطقة مكة المكرمة: إن من مجموع القضايا الأسرية الواردة في محاكم المملكة في عام ٢٠٢٠م كانت هناك (٣١٠) قضية عائلية ترتبط بالغيرة الشديدة بين الزوجين<sup>(٢)</sup>.

### حافز العفة

إنَّ الغيرة يجب أن تدفع الإنسان إلى العفة، فمن يكره تطفل الآخرين على عرضه، عليه أولاً أن يكفَّ هو ويتعقّف عن أعراض الناس، لتكون غيرته صادقة، تنعكس على من حوله، ويكرّس بذلك سلوك العفاف في مجتمعه.

أما أن ينفث هو في علاقاته مع بنات الناس في عمله وحركته، لكنّه ينزعج من انفتاح الآخرين على زوجه وقرباته، أو أن تنفتح المرأة في علاقاتها مع زملائها في الدراسة والعمل، ثم تغضب لانفتاح أخريات على زوجها، فذلك نوع من ازدواجية الشخصية، والكيل بمكيالين، كما أنه يشيع حالة الابتذال والانحراف في المجتمع.

إنَّ حرص الإنسان على سلامة عرضه، يستلزم الشعور بحرص

(١) الكافي. ج ٥، ص ٥٣٧.

(٢) <https://almawaddah.org.sa> موقع جمعية المودة للتنمية الأسرية، تقرير معدلات الطلاق والزواج والقضايا الأسرية، ص ٣٠.



الآخرين على سلامة أعراضهم، مما يعني التزامه بالعفة والورع تجاه أعراض الناس، وهذا هو مفاد درس تربوي قدمه رسول الله ﷺ لأحد الشباب فقد ورد عن أبي أمامة الباهلي: «أَنَّ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّانَا.

فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ ﷺ: اذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ. قَالَ ﷺ: أَتَجِبُهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتَجِبُهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ ﷺ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ. قَالَ ﷺ: أَفَتَجِبُهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ ﷺ: أَفَتَجِبُهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتَجِبُهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَمِثُ إِلَى شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا السياق ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «دَلِيلُ غَيْرَةِ الرَّجُلِ عَفَّتُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام: «مَا زَنَى غَيْرُ قَطُّ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مسند الإمام أحمد. حديث ٢١٧٠٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. حكمة ٥٤٠٨.

(٣) نهج البلاغة. حكمة: ٣٠٥.

إنّ التزامك بسلوك العفة يشكل مساهمة في صنع أجواء العفاف في المجتمع، وهو ما يوفر الحماية والحصانة لعرضك، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: عَفُوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعَفَّ نِسَاؤُكُمْ<sup>(١)</sup>.

### العفاف تربية ومسلك

من المهم التذكير بقيم العفاف والتربية عليها، وتوفير الاحترام والإشباع العاطفي في إطار العائلة، فإنّ من أسباب الانحراف الأخلاقي ضعف الاحتواء والإشباع العاطفي عائلياً، مما يفسح المجال للبحث عن الإشباع العاطفي خارج الأسرة.

إنّ الفتاة التي لا تجد احتراماً ومحبة كافية من أهلها، قد تستجيب لأيّ مشاعر عاطفية انتهازية، وكذلك الزوج التي لا تجد الاحترام والاهتمام العاطفي من زوجها، والزوج الذي لا يجد الاهتمام من زوجته.

إنّ الغيرة على العرض يجب أن تكون دافعاً لتحصين أفراد الأسرة بالوعي السليم، والتنشئة الأخلاقية، وتعزيز الثقة بالنفس، فذلك هو ما يصدّ محاولات الاختراق العاطفي ويمنع الانحراف السلوكي، ويصنع الوقاية من سلبيات الأجواء المفتوحة.

(١) الكافي. ج ٥، ص ٥٥٤.





## البيئة الثقافية للعنف ضد المرأة

يحتفي العالم كل عام، في (٢٥ نوفمبر) باليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة.

والعنف ضد المرأة ظاهرة عالمية، تعاني منها مختلف المجتمعات، وتستوجب تعبئة الجهود لمواجهة هذه الحالة العدوانية غير اللائقة، وتحقيق هذا التطلع، أي القضاء على العنف ضد المرأة إنما يتحقق بطريقتين:

**الطريق الأول:** تشريع قوانين لحماية المرأة، وردع ممارسات العنف ضدها.

ودول العالم تسير في هذا الاتجاه، فالدول الغربية لديها قوانين وأنظمة صارمة على هذا الصعيد، كما بدأت الدول النامية تُشرع قوانين لحماية المرأة من العنف، سواء داخل المنزل أو خارجه؛ وذلك نتيجة ضغوط المؤسسات الدولية، والتطور الاجتماعي.

**الطريق الثاني:** إصلاح البيئة الثقافية الاجتماعية، التي تنتج وتسبب

## العنف ضد المرأة.

ونركز البحث حول هذا الموضوع، ذلك أن القوانين والأنظمة إذا لم تتوفر لها بيئة مساندة، لا تحقق الحماية المطلوبة، فالإنسان قادر على تجاوز القوانين والتمرد عليها!  
والواقع الحاضر في مختلف الدول شاهد على ذلك.

## بيئة العنف ضد المرأة

تتمثل البيئة الاجتماعية الثقافية المنتجة للعنف ضد المرأة في  
لوتين:

**اللون الأول:** وجود ثقافة الهيمنة الذكورية، والنظرة الدونية للمرأة.  
حينما تسود في المجتمع ثقافة ذكورية، ترى أن المرأة أقل من الرجل رتبة، وأنها إنسان من الدرجة الثانية، وكأنها خلقت من أجل الرجل، كما أن كل الكائنات الأخرى خلقت من أجل الإنسان، هذه الثقافة تعطي للرجل حق الهيمنة على المرأة والسيطرة عليها، فلا يصح لها أن تعارض أي شيء من أوامره أو رغباته.

إذا سادت هذه الثقافة في المجتمع، تهيأت الأرضية لممارسة العنف ضد المرأة، وهي نظرة ناشئة من سيادة منطق القوة، فالرجل يجد نفسه أقوى جسماً وأصلب عضلات من المرأة، لذلك يجد الفرصة سانحة لكي يُخضعها لهيئته وإرادته، وهذا المنطق سائد في

مختلف مجالات العلاقات الإنسانية، فالدولة الأقوى تحاول فرض إرادتها على الدول الأضعف، والقبيلة الأقوى تحاول فرض هيمنتها، وهكذا الرجل الأقوى يستغل ضعف الآخرين، ويمارس قوته على الطرف الآخر، ما لم يكن لديه دين أو وعي رادع. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ \* أَنْ رَأَى اسْتَعْنَى﴾.

في بعض المجتمعات يُشرعن هذا المنطق تجاه المرأة وتُختلق له أحاديث وآراء دينية، وأحياناً ترفده آراء فكرية، فعلى سبيل المثال: أرسطو له مقوله مشهورة «إن المرأة رجل غير كامل، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخليقة»<sup>(١)</sup>.

### اللون الثاني: ثقافة الابتذال الأخلاقي.

المجتمع التي تسوده ثقافة الابتذال الأخلاقي، أو غياب حالة الاحترام والعفاف، تكون الأرضية فيه مهياة للعنف ضد المرأة، لأن الانجذاب العاطفي بين الجنسين غريزة عميقة متجذرة لا يمكن تجاهلها، فهي من أقوى الغرائز عند الإنسان، حتى لو حاول أن يتنكر لها فإنها تفرض نفسها عليه.

وقد انتشرت في هذه السنوات تقارير عن انحرافات بعض الرهبان، ففي الكنائس المسيحية يمنعون القساوسة من الزواج ضمن رتب دينية

(١) ايغور كون: معجم علم الأخلاق، ترجمة: توفيق سلوم، دار التقدّم، موسكو، ١٩٨٤م، ص ٤٥.

معينة، ليعيشوا حالة الانقطاع والتبتل ويعزفون عن الزواج!

لكن هذا العزوف القانوني الرسمي لا يعني إلغاء الغريزة، مما يؤدي إلى حصول ممارسات وانحرافات عند بعض رجال الكنيسة!

وهكذا فإن الغريزة الجنسية تفرض نفسها على الإنسان رجلاً كان أو امرأة، وهي التحدي الأكبر في حياته، فأشد الغرائز تحدياً أمام إرادة الإنسان هي الغريزة الجنسية، لذلك ربط الشارع المقدس التكليف بها، فيكون الإنسان مكلفاً شرعاً، حينما تنضج عنده الغريزة الجنسية، لأنها الامتحان الأقوى، والتكليف إنما هو امتحان للإنسان.

هذه الغريزة لها ضغط كبير على الإنسان، فيستجيب لها ويسعى لإشباعها، ولا بد من وجود ضوابط تقنن إشباع هذه الغريزة، أما إذا لم تكن هناك ضوابط، فإن الإنسان لديه نزوع لتحصيل أكبر قدر من اللذة والشهوة، كما في سائر المجالات.

إذا سادت في المجتمع ثقافة العفة والحشمة، يكون ضغط الغريزة الجنسية على الإنسان في حدوده الطبيعية، ويمكن ضبطه، أما إذا سادت ثقافة الابتذال الأخلاقي، وضعفت حالة العفة والاحتشام، مع وجود أجواء مشجعة للهيّاج الجنسي، هنا يكون الاندفاع نحو ممارسة هذه الغريزة متجاوزاً للضوابط والحدود، مما يهدد أمن المجتمع الأخلاقي، وتصبح المرأة هي الضحية الأكبر، لأن الرجل له قوة يدافع بها عن نفسه، لكن المرأة عادةً ما تُستغل، وهي الحلقة الأضعف، لذا

فإن أي مجتمع يريد أن يكبح حركة العنف ضد المرأة، عليه أن يعالج ثقافة الابتذال الأخلاقي.

ومع الأسف الشديد فإن الحضارة الغربية التي قدمت للمرأة خدمة كبيرة، فأتاحت لها المشاركة في مختلف مجالات الحياة، إلا أنها قدمت المرأة فريسة وضحية لتوجه الابتذال الأخلاقي!!

وذلك عن طريق نشر ثقافة التبرج، وتشجيع المرأة على إظهار مفاتها، وتحريض الشهوات عبر التشويق الإعلامي والثقافي بمختلف الوسائل!

وبهذا تتعرض المرأة إلى نوعين من العنف:

١. عنف الهيمنة عليها وإساءة التعامل معها.
٢. عنف انتهاك خصوصيتها الأنثوية، ومن مظاهره التحرش والاعتصاب!

### إحصائيات وأرقام صادمة

إن أرقام وإحصائيات حالات التحرش والاعتصاب خاصة في تلك المجتمعات الغربية مخيفة مفرعة، وقد تم تداول بعضها إعلامياً بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة سنة ٢٠١٩م، وهذه نماذج منها:

- شهدت فرنسا يوم السبت ٢٣ نوفمبر ٢٠١٩م مظاهرات عدة للتنديد بالعنف الممارس ضد النساء، حيث تفيد بعض الأرقام

التي أوردتها (فرانس ٢٤) أن امرأة واحدة تتعرض للاغتصاب كل سبع دقائق في فرنسا<sup>(١)</sup>!

■ نقلاً عن مونت كارلو الدولية: سجلت أعداد الاعتداءات الجنسية في الجيش الأميركي ارتفاعاً مطرداً في عام ٢٠١٨، مما جعل وزير الدفاع الأميركي بالوكالة (باتريك شاناهاان) يعلن يوم الخميس ٢ مايو ٢٠١٩، عن أن التحرش الجنسي سيصبح جريمة يحاكم مرتكبوها أمام القضاء العسكري.

ولفت المكتب إلى أن العدد الحقيقي للاعتداءات الجنسية في الجيش هو (٢٠٥٠٠) حالة بينها (١٣٠٠٠) طالت نساء، مشيراً إلى أن ثلث حالات الاعتداء الجنسي فقط يُبلغ عنها من جانب الضحايا، وهي نسبة مشابهة لتلك المسجلة في السنوات السابقة.

وكان تقرير منفصل نشر مطلع العام الحالي قد أظهر أن معدلات الاعتداءات الجنسية في الأكاديميات العسكرية الأميركية ازدادت بنسبة تقرب من (٥٠٪) خلال السنتين الماضيتين، رغم الجهود الرسمية لمكافحة هذه المشكلة.

كل ذلك يحدث داخل ثكنات الجيش مع وجود حالة من الانضباط والقوانين، وفي ظل دولة تعتمد عقوبات رادعة

## لجرائم العنف الجنسي<sup>(١)</sup>!!

■ كشفت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية في تقرير مطول لها النقاب عن انتشار ظاهرة الاغتصاب والتحرش الجنسي واللفظي داخل الجيش الإسرائيلي، خلال العامين الماضيين أي في الفترة ما بين عامي ٢٠١٦ و ٢٠١٨، مشيرة إلى أن معظم حالات التحرش والاغتصاب تتم من قبل ضباط تجاه مجندات بالجيش الإسرائيلي أثناء الخدمة، لدرجة أن الضباط يسامون بالمجندات إذا لم ينصعن إليهن، فيتم تحويل من يرفضن للخدمة في مناطق وعرة كالصحراء والأودية النائية.

وروى التلفزيون الإسرائيلي حوادث عدة لإجبار الضباط والمجندات بتقيلهن عنوة، أو لمس أماكن حساسة في جسد المجندات، ومن ترفض فإن هناك قرار مكتوب مسبقاً بنقلها أو زيادة ساعات الخدمة، مشيراً إلى أن نسبة التحرش والاعتداء الجنسي وصلت لدرجة أن كل ١٠ مجندات بينهن ٧ تعرضن للتحرش الجنسي أو اللفظي أو الاعتداء خلال العامين الأخيرين<sup>(٢)</sup>.

■ أفادت دراسة أجراها اتحاد نقابات العمال في بريطانيا بأن أكثر

(١) <https://www.mc-doualiya.com/articles/20190503>

(٢) <https://www.youm7.com/> صحيفة اليوم السابع الصادرة بتاريخ ٢٤ سبتمبر



من نصف السيدات صرحن بأنهن يتعرضن للتحرش الجنسي في العمل، واعترف معظمهن بأنهن لم يبلغن عن حدوث تلك الوقائع.

ورصدت الدراسة، التي شملت (١٥٠٠) سيدة، تعرض (٥٢٪) منهن للمشكلة، وأشارت إلى أن ثلث عددن تعرضن لنكات غير لائقة، في حين قال ربع عدد السيدات إنهن تعرضن لملامسات غير مرغوب فيها.

وقالت نحو ٧٩ في المئة من السيدات إنهن وقعن ضحايا للتحرش الجنسي ولم يبلغن رب العمل.

وقالت نسبة قوامها (٢٨٪) إن الخوف دفعهن إلى عدم الإبلاغ، خوفاً من أن يؤثر ذلك على علاقتهن بالعمل، في حين خشيت مجموعة نسبتها (١٥٪) على مستقبلهن المهني<sup>(١)</sup>.

ومن المعروف أن القوانين في الدول الغربية شديدة ضد التحرش والاعتصاب، لكن البيئة الثقافية الاجتماعية حيث يسودها الابتذال الأخلاقي تنتج هذا الظواهر.

### تجارة الابتذال الجنسي

أصبح الابتذال الجنسي تجارة تحترفها مؤسسات ضخمة وشبكات

(١) [https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016/08/160810\\_women\\_](https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016/08/160810_women_sexually_harassed_at_work)

[sexually\\_harassed\\_at\\_work](https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016/08/160810_women_sexually_harassed_at_work)



واسعة، تحصل منها على مداخيل عالية، فالأفلام الإباحية واحدة من أهم الصناعات في العالم، فهناك دول تعطي الحرية الكاملة لصناعة تلك الأفلام ومشاهدتها، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تسمح بالإعلان التجاري عن مواقع الأفلام الإباحية في الشوارع العامة! وتقول الإحصائيات: (إن الزيارات اليومية لمواقع الأفلام الإباحية، تزيد عن الزيارات الخاصة بموقع تويتر ونيتفلكس وأمازون، إضافة إلى أن ٣٥٪ من المحتوى الذي يتم تنزيله من الإنترنت متمثل في الأفلام الإباحية، وإن لم تختبر بنفسك التعرض لتلك النوعية من الأفلام، فستقوم الإعلانات بهذا الدور نيابة عنك، فما أثبتته الإحصاءات أن ٣٤٪ من زوار الإنترنت يتعرضون رغماً عنهم لمواد إباحية، سواء كانت صوراً أو إعلانات مصورة عن مواقع إباحية. وأشارت الإحصاءات إلى أن إنتاج الأفلام الإباحية يتصدر قمة أرباح الصناعات في العالم، والذي قُدِّرَ بإنتاج فيلم إباحي كل ٤٠ دقيقة!!

وأكدت الكاتبة الأمريكية (شيرا تارنت) في كتابها «كل ما تريد أن تعرفه عن صناعة الأفلام الإباحية» أن أرباح الأفلام الإباحية المنشورة على الإنترنت تبلغ (٣٠٠٠ دولاراً) كل ثانية، مما يجعل الأفلام الإباحية تتفوق على مجموع أرباح شركات «جوجل» و«آبل» و«نتفلكس».

وتقول الإحصاءات إن الزيارات اليومية لمواقع الأفلام الإباحية تزيد عن الزيارات الخاصة بموقع تويتر وأمازون، حيث تبلغ مشاهدة الأفلام الإباحية على الإنترنت أربعة مليارات مشاهدة في كل ساعة!!<sup>(١)</sup>.

البعض يرى أن مجتمعاتنا العربية تعيش حالة كبت وانغلاق، وأن الفصل المبالغ فيه بين الجنسين يحفز حالات التحرش!

لكننا نجد البلدان الغربية تعيش حالة انفتاح بلا حدود، ومع ذلك فإن إحصاءات التحرش والاعتصاب تفوق التصور!!

والحقيقة أن ثقافة الابتذال الجنسي حينما تسود المجتمع تحرض الشهوات، وتؤدي إلى هذه التصرفات السيئة ضد المرأة.

والعالم الغربي الذي يسعى لوضع حد للعنف ضد المرأة، يُعطي المجال لكي تُصبح ثقافة التحلل الأخلاقي تجارة من أنشط التجارات في العالم!

### الدرس المستفاد

إن الدرس الذي يجب أن تأخذه مجتمعاتنا من المجتمعات الغربية، هو ضرورة تحصين أجوائنا من الانزلاق إلى حالة الابتذال والتحلل الأخلاقي.

إن تمكين المرأة في الحياة العامة أمر مطلوب، فمن حق المرأة أن تشارك في الحياة العامة، وليس المطلوب أن تنعزل أو تعطل طاقاتها أو تبقى حبيسة المنزل، بل يجب أن تشارك في الحياة العامة، لكن هل هذا يستلزم أن يترافق مع حالة ميوعة وابتذال أخلاقي؟!

المجتمعات الغربية تعاني من هذه الأضرار والأخطار، فلماذا نسمح لها بالتسلل إلى مجتمعاتنا؟!

من المهم أن تتوظف المرأة، لكن ذلك لا يعني أن تأتي إلى الوظيفة متبرجة تستعرض مفاتها أمام زملائها من الرجال، فهذا يسبب ضرراً عليها وعلى المجتمع.

كما ينبغي على الرجال أن يدركوا خطورة الوقوع في هذا المنزلق، فلا يجوز للموظف أن يتجه نحو إظهار المفاتن والميوعة الأخلاقية في العلاقة مع زميلاته من الموظفات.

وللإنصاف نقول توجد في مجتمعاتنا حالات من الانحراف الأخلاقي والفساد، لكنها لاتصل إلى المستوى الذي وصلت إليه المجتمعات الغربية، وإذا فسحنا المجال لثقافة الابتذال الأخلاقي أن تسري في مجتمعاتنا فستكون النتائج وخيمة!

من هنا ينبغي أن يتعاون الجميع، خاصة في هذه المرحلة من أجل التحصين الأخلاقي، حماية لأمن المجتمع، وحفاظاً على كرامة المرأة، فديننا يأمرنا بإكرام المرأة، كما ورد في الحديث الذي

رواه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ: «ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم» ومن إكرام المرأة أن تعيش في بيئة عفاف واحتشام، ومن إهانة المرأة أن تعيش في بيئة ابتذال أخلاقي، يمهد الأرضية لانتهاك خصوصيتها الأنثوية، فعلينا أن نهتم بمراعاة هذه الجوانب، وأن ننشر الثقافة الأخلاقية التي تُحصن أبناء وبنات مجتمعنا.

والبداية من داخل المنزل، علينا أن نكون واعين حذرين، وأن نتأمل آيات القرآن الكريم وتعاليم الدين، يقول الله تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ ثم تقول الآيات الكريمة ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾!!

إن على المجتمع رجالاً ونساء أن يُنجحوا مشاركة المرأة وتمكينها في الحياة العامة، بتلافي السلبيات والأخطاء التي وقعت فيها المجتمعات الأخرى، وذلك بنشر الوعي الأخلاقي، والتعبئة القيمية، التي تجعل العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة إنسانية منضبطة، لا تندفع نحو الابتذال الأخلاقي، من خلال التبرج وإظهار المفاتن وشياع أجواء الميوعة والإغراء.



## الالتزام الديني والأجواء المفتوحة

ينظر بعض المتدينين إلى واقع مشاركة المرأة في مختلف الميادين، وحضورها إلى جانب الرجل، نظرة سلبية قاتمة، ويرون أن ذلك يُضعف حالة الالتزام الديني والأخلاقي في المجتمع، ويستشهدون ببعض مظاهر الانفلات والانحرافات السلوكية التي تصدر من بعض الشباب والشابات، وبما تعيشه المجتمعات الغربية على هذا الصعيد.

وقد تدفع هذه النظرة القاتمة إلى الانكفاء والانطواء، والتشدد والتطرف تجاه الواقع الجديد، كما تبعث على اليأس والإحباط من بذل جهد الإرشاد والتوعية. وكأن الالتزام الديني متعذر في الأجواء المفتوحة. وهذا ما نريد مناقشته في السطور التالية.

قد يلتزم الإنسان بحكم شرعي أو سلوك أخلاقي، لأن القانون والنظام يفرض عليه ذلك، كما يقول المثل العربي المعروف (مكره أخاك لا بطل)، يضرب لمن يبرز للقتال دون شجاعة، لكنه مجبر لمبارزة الطرف الآخر.

وهي درجة من درجات الخير، في مقابل من يخالفون النظام ويتحايلون على القانون.

وقد يعيش الإنسان في بيئة اجتماعية تسودها الأجواء المحافظة والالتزام الديني، فليتزمت دينياً وأخلاقياً بدافع التكيف مع الجو الاجتماعي، لأن مخالفته لعادات وأعراف المجتمع تكلفه شيئاً من سمعته، وهذه أيضاً درجة من درجات الخير، في مقابل من يتمردون على الأجواء الصالحة التي يعيشون ضمنها، ويتجرؤون على المجاهرة بالمعاصي.

وقد لا تكون المعصية متاحة أمام الإنسان، فيكفُّ عن المعصية بالمعنى المجازي، فهي غير متاحة له، لا يتمكن من ارتكابها، كما ورد عن علي عليه السلام: «من العصمة تعذر المعاصي»<sup>(١)</sup>، أي أنها درجة من درجات العصمة بالمعنى اللغوي.

كما يقال في المثل (إن هذا العنب لحامض) باعتبار صعوبة الوصول إليه!!

وهذه درجة من درجات الخير.

البعض يستهجن ويتعجب حين يسمع عن بعض الوزراء أو المسؤولين في بعض الحكومات، حين يستغلون نفوذهم وسلطتهم، ويسرقون من خزينة الدولة وأموال الشعب!!

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٤٥.

ولو سأل الواحد منا نفسه: لو كانت هذه الفرصة متاحة لي، هل كنت أمتنع عن ارتكاب ما يرتكبون؟! هنا يكون التحدي.

في إحدى محاضرات الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وهي موجهة لطلبة العلم، يتساءل ويقول: (نحن نقول بأننا أفضل من هارون الرشيد، أروع من هارون الرشيد، أتقى من هارون الرشيد، عجباً! نحن عرضت علينا دنيا هارون الرشيد فرفضناها حتى نكون أروع من هارون الرشيد؟!)

يا أولادي، يا أخواني، يا أعزائي، يا أبناء علي، هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد!؟

لا، عرضت علينا دنيا هزيلة، محدودة، ضئيلة، دنيا ما أسرع ما تتفتت، ما أسرع ما تزول، دنيا لا يستطيع الإنسان أن يتمدد فيها كما كان يتمدد هارون الرشيد، هارون الرشيد يلتفت إلى السحابة يقول لها: أينما تمطرين يأتيني خراجك، في سبيل هذه الدنيا سجن موسى بن جعفر عليه السلام، هل جربنا أن هذه الدنيا تأتي بيدنا ثم لا نسجن موسى بن جعفر؟ جربنا أنفسنا، سألنا أنفسنا، طرحنا هذا السؤال على أنفسنا، كل واحد منا يطرح هذا السؤال على نفسه، بينه وبين الله. إن هذه الدنيا، دنيا هارون الرشيد كلّفته أن يسجن موسى بن جعفر، هل وضعت هذه الدنيا أمامنا لكي نفكر بأننا أتقى من هارون الرشيد؟! <sup>(١)</sup>.

(١) محمد باقر الصدر. المدرسة القرآنية، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ، (قم المقدسة: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر)، ص ٢٠٢..

فهذه حالات ثلاث تدفع الإنسان لترك المعصية والانحراف:

- وجود القانون الرادع.
- التكيف مع البيئة الاجتماعية.
- عدم توفر إمكانية فعل المعصية.

وقد كانت مجتمعاتنا الإسلامية المحافظة سابقاً تتوفر على هذه الأمور بدرجة عالية، لكن هذه العناصر الثلاثة بدأت تضعف وتتلاشى في كثير من المجتمعات الإسلامية.

لم يعد القانون يرى نفسه معنياً بمراقبة القضايا الأخلاقية أو الشرعية، وأصبحت البيئة الاجتماعية تعيش حالة من الانفتاح على أنماط وألوان من السلوك والثقافات والإغراءات المختلفة، كما أن إمكانية الوصول إلى المعاصي أصبحت متاحة، مع توفر الفرص والوسائل.

### الرهان على الحالة الذاتية

بقي الرهان على وعي الإنسان وإرادته، هذا هو الخيار والرهان الأساس لمن يهتم بالالتزام الديني.

كثير من المتدينين يزعمهم أن يروا بعض المنكرات، أو التساهل القانوني تجاه بعض المخالفات، لكن علينا أن نلاحظ تغير الوضع العالمي، وتأثيره على مجتمعاتنا المحلية، وهذا ما يدعونا إلى اختيار الأسلوب المتاح والأمثل، وهو الرهان على تنمية الوعي والإرادة في



نفس الإنسان، فهذا ما يحصنه من الوقوع في المعاصي والانحرافات. البعض يظن أن هذا القول مثالي، فإذا توفرت الإغراءات وكانت الأجواء مفتوحة ولم تكن هناك روادع قانونية، فكيف نمنع الناس عن طريق التوجيه والمحاضرات؟! إنها لا تجدي نفعاً!!

لكننا نجد تجمعات دينية إيمانية تعيش في مناطق مفتوحة في العالم كأمريكا وأوربا، تتوفر فيها المعاصي والإغراءات، ومع ذلك يلتزم المتدينون هناك بدافع ذاتي.

وهو دليل على أن الإنسان إذا أراد الالتزام يستطيع ذلك، مهما كانت الإغراءات، صحيح أنه يحتاج إلى درجة أكبر من مجاهدة النفس وترويض الأهواء والشهوات، وهو ما ينبغي أن نعمل من أجل تحقيقه. القرآن الكريم يقدم لنا نموذج نبي الله يوسف عليه السلام، وهو شاب في مقتبل العمر، يعيش في بيت تتوفر فيه أعلى درجات الرفاهية والإغراءات، وزوجة عزيز مصر تدعوه إلى نفسها لارتكاب المعصية، لكنه يمتنع ويأبى.

القرآن الكريم يبرز هذا المثل، حتى يقول لنا: إن الإنسان يستطيع أن يصل إلى هذا المستوى، ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢٣].

ونجد مثل هذه الصور في حياة الأنبياء والأئمة، ونستحضر هنا الكلمة التي تروى عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا، عَلَيَّ أَنْ أُعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ»<sup>(١)</sup>.

قد يقول البعض: إن هؤلاء أئمة وأنبياء!!

ونقول: هناك أناس عاديون قاوموا الإغراءات والمعاصي، وبين فترة وأخرى نقرأ في الصحف أن عاملاً كادحاً يجد مبلغاً من المال، فلا يستسيغ أخذه، بل يبحث عن صاحبه، وآخر صاحب سيارة أجرة، وثالث حمّال أمتعة في مطار، ونجد مثل هذه العناصر الطيبة في بلادنا ومختلف دول العالم.

لا بد لنا أن نراهن في هذا الزمن على إرادة الإنسان، وتعزيز الوازع الديني في نفسه.

### اعتقال مسنة عمرها (١٠٤) أعوام

نشرت الصحف عن امرأة مسنة في بريطانيا عمرها حوالي مئة وأربع سنوات، اتصلت بالشرطة، تطلب اعتقالها، فطوال حياتها لم ترتكب مخالفة، وتتمنى أن ترى نفسها في صورة من يخالف النظام! قالوا لها: وما المطلوب؟!!

(١) نهج البلاغة. خطبة ٢٢٤.

قالت: تأتون وتعتقلوني وكأنني مخالفة.

وقد لبت الشرطة رغبتها، وأرسلوا سيارة واعتقلوها، في جو من الفكاهة والضحك<sup>(١)</sup>!!

فجوهر الدين يتمثل في تنمية إرادة الإنسان، وخلق المناعة الداخلية تجاه الإغراءات والمعاصي، كي يلتزم أخلاقياً وقيماً، وحسب التعبير الديني تنمية الورع، وهو (الكف والانقباض) أمام المعصية، ونحن نجد في القضايا الصحية خير مثال على (النفور الداخلي)، إذا وجد الإنسان طعاماً لذيذاً يحتوي على الميكروبات أو القذارة، فإن نفسه تنفر منه ولا تقبل عليه، حتى وإن كان شكله ومنظره جذاباً.

والحديث المروي عن رسول الله ﷺ يقول: «ملاك الدين الورع»<sup>(٢)</sup> أي جوهره ومحوره، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «رأس الدين الورع»<sup>(٣)</sup>. وجاء عن رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَعٌ يَرُدُّهُ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا خَلَا بِهَا لَمْ يَعْباَ اللَّهُ بِسَائِرِ عَمَلِهِ»<sup>(٤)</sup>.

يجب أن يراهن الإنسان على الوصول إلى مستوى المناعة من ارتكاب الأخطاء، ليس فقط الأمور الدينية (المحرمات والمعاصي)،

(١) <https://www.mobtada.com/details/522079>

(٢) تحف العقول. ص ٥١٣.

(٣) كنز العمال. حديث ٧٢٨٤.

(٤) المصدر نفسه. حديث ٧٢٩٩.

بل حتى في المخالفات القانونية كأنظمة المرور وقضايا البيئة والنظافة،  
والياً هناك نقاش حول نظام للذوق العام.

لا ينبغي أن يلزمك أحد حتى تراعي الذوق العام، ينبغي أن يكون  
لديك وعي متحضر وإدراك بحيث تندفع بذاتك نحو الالتزام ومراعاة  
الأنظمة والقوانين.